ها قد عرفت الحب

قصص قصيرة

هالة عبادي

الطبعة الأولى
٢٠١٧

اسم الكتاب: ها قد عرفت الحب.

اسم المؤلفة: هالة عبادي.

المدير العام: نهى محمود .

مدير التوزيع: مصطفى عبد القادر .

تصميم وإخراج فني: همت العزب.

تصميم الغلاف: دعاء السيد .

التصحيح اللُغوي: أولي النُهى للتصحيح اللُغوي

(نهى محمود /الشيماء عجينة).

الطبعة الأولى: ٢٠١٧

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: ٢٠١٧/٢٣٩٣٣

الترقيم الدولي: ٦-١٥-٦٦١٠-٩٧٧-٩٧٨

محفوظة جميع الحقوق

١٧ش حسن وهبة من شارع الهرم الرئيسي

خلف كايرو مول.

موبايل / ٠١٠١٤٦٢٤٢٨٨

البريد الإلكتروني:

nohamahmoud.171186@gmail.com

elshahdpublishing2016@gmail.com

المقدمة

الكتابة رحلةٌ جميلة من المتعة إلى الواجب، وعلى الكاتب أن يترك حرفه ليرقص على السطر كطفل يلاعب بالونه دون أن يراعي سببًا أو توقيت؛ ليأتي مُنضبطًا حينًا، وفي أحيان مُتباعدة يُصبح مُستهترًا جريئًا أو وقحًا، وقد يقترف الحماقات لمجرد متعة المغامرة نحو الحرية المُحرمة.

رغبت مثل كثيرين أن أصبح كاتبة وها أنا أكتب جيدًا... ثمة من يقول أن كتاباتي رائعة، هناك من يرونها مبدعة، كان هذا جميلًا للغاية لكنه يحدث في الليل فقط في أثناء نومي، أما في النهار فأنا أكتفي بقراءة ما يكتبه الآخرون، وأقول نعم هكذا يكون الأدب... كذلك هي الكتابات الرائعة.

هالة عبادي

كلماته المُشجِعة

بدا كل شيء على ما يرام للوهلة الأولى، لكن أسلوبه القاسي في معاقبة التمرد جعلها ترتعش، كان قلقها أعمق من كلمات الآخرين وتشجيعهم، إرهاق واكتئاب هذا ما أسلمها إليه، تمنت لو أنها فعلت الصواب بترك الأمر له، لكنها تخشى أن تبقى النتيجة خارج سيطرتها، كعادتها تتردد دائمًا حتى يصبح الوقت متأخرًا جدًا على التصرف، لكن لابأس، لقد تمَّ الأمر هكذا، لم تكن لتجرؤ أن تفعل هذا وحدها كان لابد من أن يستفزها شيءٌ ما، وهذه المرة كانت كلماته، لقد فعلت الصواب بهذا الشأن وهي ممتنة لكلماته المُشجعة لها، إنه من أغراها وهي سعيدة لأنها فعلت، تناولت ذراعه ومشت إلى البيت، تعلم أن قلبه سيُملي عليه ما يجب عليه حقًا أن يفعله.

كانت تلح كثيرًا حتى تبرَّم بإلحاحها، لقد بذلت كل جهد للسيطرة على ذلك، وها هي تهدأ أخيرًا لتراقبه كيف ينُجز الأمر، انهالت كلماتها عليه بتوسلٍ سريعٍ ملح وختمتها كذلك بعجلةٍ، ولجعل الضمان أكثر تأكيدًا أخذت بنفسها جميع الوثائق المطلوبة إلى مكتب البريد، لم تبذل أي جهد لجعل الأمر تحت سيطرتها، كانت تثق به وبإخلاصه لوعوده، أو أن هذا ما حاولت

إقناع نفسها به بعد أن أعيتها كل الحيل، هل كانت مخطئة؟! كان عليها أن تسأل في بادئ الأمر ... وهذا مالم يسمح به بما أعطى من وعود، بدا صادقًا جداً في ذلك الوقت، وكانت خائفة وليس من دافعٍ سيءٍ كالخوف، لقد أجبرها على المخاطرة ... لا تعلم إن كان تذكُّر كل هذا مجدٍ فعلًا، لكن الصمت بالتأكيد كان سيُفيدها أكثر.

تحدثت معه بتسرع وبشيء من الفظاظة، كان انفعالها المتهور يمنعها من أن تتوقف، بدا صوتها مرتبكًا وغير عادي، وكان عنفها جليًا، ليس أبشع من استغلال امرأة ... إنه يعلم أنها تشعر بالغبن وأنها مغتاظة جداً كما كانت مروعة من الهدوء الذي أظهره كما يفعل الرجل القوي ...

بدا حزينًا قلقًا إلى حد ما في مناقشتها، قالت وهي تبتسم في وجهه ملتمسةً العذر: هل ستغفر لي؟ قالتها بتعبير حزين طغى على طلعتها المشرقة العذبة، لكنه لم يمد يده، شعرت بإهماله يؤذيها، لم تجد مبرراً للكبرياء، لم يتكلم ... قالت بصوت أخفض لا تدعني بحيرتي، ألم تعد بأن تساعدني؟!

ابتعدي ولا تظني أن أنوثتك ستشكل حمايةً لكِ.. قالها بمنتهى القسوة وأشاح بنظره عن عينيها المحدقتين فيه.

كانت مُخطئة، كان عليها أن تتجنب الغضب الرهيب لرجل مثله، احمر وجهها من تجاهله، وعلى الرغم من إعجابها باستبداده واحترامها لاستقلال شخصيته، إلا أنها لم تُبدِّل موقفها، اختارت المواجهة كانت تريد احتراماً لاستقلال شخصيتها هي الأخرى ... في الساعات التالية توقفت علاقتهما وكل حديث، راحت تتمشى بالغرفة جيئةً وذهاباً لم تكن تحبه أبدًا بشكل عاطفي، وليس لديها أيضاً شعور بالنفور، مناقشتها كانت في إطار العمل، وكان يجب أن تنتهي حيث ينتهي العمل، لكن أن تخترق الألفة التي بينهما، كان هذا هو اللغز الذي وجب عليها أن تحله.

كانت تتوقف من وقت لآخر لتُصغي لصوت قلبها، تهدأ لبضع دقائق ثم ما تلبث أن تعود، شدت يديها بإحكام وحبست أنفاسها، كانت تود إسكات الضجيج في داخلها، مرَّت لحظة أو اثنتين قبل أن تتمكن من نطق أي كلمة، ثم رأت أن عليها الانتصار على كل العقبات، لم تكن صبورة، ولم تكن بحالة جيدة بما يكفي لتذعن للمنع، إن ما جعلها تمر به أذهلها حتى عن تذكر العمل الفعلي الذي بين يديها، ولابد أن تنهي هذا كله.

صمته سبب لها رعبًا أسوأ مما كانت تتوقعه أو تحتمله، كان يطيل صمته ليستعد بشكل أفضل، توقفت لحظة يبدو أنه أحسن

اختيار الطريقة الأكثر تعذيباً لها، توالت جملها المعاتبة شحب وجهها كثيرًا، ضغطت على شفتيها أكثر، فيما عدا ذلك لم يتحرك أيٌّ من ملامحها، تمنَّت لو أنه يواصل ما كان بينهما، لكنه قفز خارج حدود الفكر الحكمة التجربة وحتى التعاطف، لقد أراد أن يجعلها تُعاني بكل ما أوتي من ذلك كله، وعلى ما يبدو أنه لم يخطئ هدفه، كم تعاني الشخصيات الجيدة التنشئة في مجتمع كهذا، لكن لا ليست هي، وقوتها نفسها ستجعلها تتماسك وستُريه أي فتاة رائعة هي، هذا ما كانت تردده في سرها وهي تسمع الباب وصوتاً يوحي بالاستئذان، وهو أيضاً ما منحها متعةً آنية وسط قلقها.

أول حب

فرقتهما التفاهات وقرارٌ عائليٌ بالٍ، بعد أن كان يجمعهما كل شيء وكانت بينهما أشياءٌ و ذكريات، كانت فتاة أحلامه، وكان الرجل الذي تتمنى، يومًا ما ملك كل شيء؛ قلبها عقلها وروحها، لقد فتحت له أبوابها كلها دون استثناء، وسمحت له أن يصل حيث أراد أن يصل يومها، قبل أن يدير لها ظهره ويمضي.

وأمام درج السكن الجديد وقفت تتذكر بيتهم، شاهق العلو كان، أو أنها كانت كذلك طفلةً تراه، الدرج الصاعد إلى الطابق الأعلى والاستراحة ذات النوافذ الواسعة في وسطه، تذكرت وقوفها فيه لساعاتٍ طويلة تراقب كل ما يجري، تذكرت قطة الجيران التي قفزت إليها هناك فأفزعتها، وأحلامها التي رأت فيها شبح امرأةٍ ببطنٍ شفافةٍ كبيرة التهمت أشياء كثيرة كانت تقف آخره وتحول بينها وبين الوصول، تذكَّرت كيف وقعت عنه ووصلت الأرض بكدمات كثيرة وأنفاس شبه مقطوعة، ما لا تتمنى أن تتذكره أي يد تلك التي امتدت وأنقذتها لتعيش وتروي كل هذا...

رغم أنها كانت سعيدةٌ بطفولتها العذبة، فهي التي فتحت أمامها عالم الأحلام، ولا تزال تدخله كلَّما ضاق بها الواقع تاركةً خطًا واهيًا يربطها به، تروي أحداثًا منها بلا نهايات إن لم تتمكن من خلق نهايةٍ تنتصر بها.

كانت تتحدث عن ذكرياتها كثيرًا، تبدو أقرب للأوهام منها للذكريات، فبعض الأحداث التي ترويها تعود لتاريخ يسبق بلوغها سنتها الثالثة، لكنها تؤكد تفاصيلها حتى لتُدهِشَ أقرب المقربين من دقتها إنها لا تأتي على أشياء حساسة يصعب أن تجد شهودًا عليها، لكنها أحداثٌ عامة ربما سمعتها فعلًا، ربما كانت من الأهمية بحيث تكرر ذكرها حتى خيل إليها أنها شهدتها بل عاشتها وهي شاهدة في أوهامها فقط، لكنها تخشى الخروج منها كيلا يصدمها الواقع الفظ.

بعض المشاعر يفضحها البوح أو دموع العين كالشوق لمن نحب، بريئة صادقة نفسها الطفلة التي تتوق للفرح جمعتها به في عرس لقريبةٍ لهما، التقيا..تمنيا أن يجمعهما يومًا مثله يتوج سعادتهما وحبهما الطويل، لكنهما افترقا ومضى كلٌ منهما في طريق، ومنذ ذلك اليوم انقلبت حياتها رأسًا على عقب.

أخيرًا وجدت من تثق به لتبوح عن ساكني قلبها ومعذبيه، حبيبها الذي مضى إلى دراسته في بلد آخر، وأهلها الذين فرضوا عليها متابعة دراستها الجامعية في هذا السكن الداخلي لتدخل فيه عالمها الخاص من التفكير وتلوذ بصمت عميق، وحده الزمن والتشاغل كفيلان بإطفاء أسوأ حرائق الحب، هذا ما سمعته من صديقاتها اللواتي لمسن الفقد في نظراتها وكلماتها.

كانت أمها تردد كثيرًا من المستحيل حقًا أن تتذكري كل هذا، لكنها أدمنت الحديث عن أشياء كثيرة حتى ليبدو حديثها عنه من قبيل هذه الذكريات، لا هي ليست مجنونة.. فقد عاد يراسلها من جديد وهذا ما كتبت له "قد يكون الجنون هو أن أعود إلى التفكير بك والحديث عنك أو إليك، في قاموس الحب ال "لا" الأولى تتجرعها بصعوبة، لكنك تقف طويلاً أمام الثانية، وفي الثالثة تتأكد أن حبك سيكون مستحيلًا، وأمام قائمة قد تطول من المحظورات؛ ما عليك إلا أن تلملم شظايا قلبك وتنسحب بما تبقى لك من كرامة"

عطلة العيد

لا أفكار جديدة لعطلتها القادمة - وهي التي كانت عطلها دائمًا رائعة- إذ لا تزال منذ سبع سنين (سنين الأزمة) تعتبر البيت الذي آواها في نزوحها بيتها... بعيدًا عن الزائرين المألوفين للبيت من أقارب وأصدقاء وجيران، كانت تتأمل بصمت التغيير بحياتها حتى الآن، لم تكن تأملات سعيدة، كانت مشوبة بكثير من الأسى، اعترضت على بعض الترتيبات في البيت أكثر من مرة، لكن اعتراضها كان ينتهي كما في كل مرة بتوجيه عبارات باتت تحفظها عن ظهر قلب، حتى استسلمت أخيرًا لنظامهم الصارم بفرض إرادتهم عليها، كانت تجلس دائمًا في طرف الطاولة، تستمع لتعليقاتهم بلطف، وتتجنب في أغلب الأحيان أن ترد.

لقد عانت في هذا الوضع كثيرًا، ومع هذا قررت ألا تواجهه، فليس لديها من خيارات إذا ما حكمنا من خلال ما يتسرب من المحادثات المتكررة لها مع زوجها، وكان عليها دون تحيز أمومي أن تعتني بثلاثة من الأطفال المرضى... وفي غياب من يسمعها؛ انخفض صوتها حتى استحال في النهاية صمتًا.

أقنعت نفسها بالاسترخاء في غرفتها مكتفيةً بالتفكير في شؤون أسرتها الصغيرة، وحاجة أطفالها المتزايدة لوصفاتٍ فعالة ضد الحزن، بعد أن اكتشفت أن أمراضهم مرتبطة بأحوال النفس.

تنهدت وهي تُحدثني عن مسار الحب في حياتها كيف كان ناعمًا، كيف استمتعت برومانسية ارتباطها بهذا الزوج، رغم أنه كان دون التوقعات التي وضعها لها الكثيرون ممن حولها، حاولت جادةً أن تكون سعيدة، كانت واقعةً كليًا في حب الأولاد وهذا ما ساعدها في التغلب على كل ما تفتقده من روعة الحياة...

ما يحدث الآن كريهًا فعلًا بالنسبة لها...وهذه الحياة المُتبدلة غير المستقرة فتحت باب الهواجس حتى صارت تسمع أزيزها بوضوح، وضع مرضاها المثير للشفقة كان يرهقها كثيرًا، صارت باستمرار ولو بهدوء تتحسر على ارتباطها بشخصٍ لم تحبه لم تكن محظوظةً به، وقد شعرت على نحو مضاعف بهذا عندما رأت ما نتج عن هذا الاتحاد من أمراض...

دخلت غرفة الأطفال واندسَّت إلى جوار أصغرهم، أخفت وجهها تحت أغطية السرير وراحت تبكي بشكلٍ مرير، هكذا كانت تحاول أن تتلاءم مع ظرفها الأكبر، استيقظ... فأسكتت صوت نشيجها خشية أن تثير حساسيته بحزنها، كانت تلمح نفسها بالمرآة، وترى تعاطف الأخيرة مع إحساسها بسخافة أن تفاجأها الحياة هكذا، أما قلبها فكان مجرد مكان فارغ بعد أن كانت تملؤه الآمال والخطط.

في الصداقة

شعرت لونا بنوعٍ من الأسى أمام فكرة تركهم إلى الأبد، أن تبتعد عن الأصدقاء، كانت هذه إحدى الصعوبات الأكثر قسوة عليها في حياتها، جميعنا يشعر بالأسف حيال ترك أشياء عزيزةً عليه، لكن وبالرغم مما عانت كان لابد لها أن تستجيب لهذا القرار، ورأت أنه من الخطأ الإحساس بالأسى مطلقًا، وقد أثرت بعض ما أسمتها صداقة على حياتها الهادئة الهانئة تأثيرًا كبيرًا، لم تفكر في هذا الأمر حتى الأيام القليلة السابقة...

كانت سعيدةً بما تمنح، سعيدةً بالعطاء، لكن الصمت تلك اللهجة المؤنبة القاسية التي تعمدها عادل معها جعلتها تفكر كثيرًا، وأعادت لها أسوأ الذكريات مع جهاد محمود، أحمد، دعاء وأيضًا فاطمة...كما شكَّت تقريبًا الصداقة ذريعته مثلهم لفتح كل أنواع الحوارات، ولتسريب بعض المجاملات والملاطفات كانت إحدى حكايا ليله الذي لا ينتهي تتذكره ساهراً على حدود لذته، يراقب هاتفه بشغف لصٍ، يبحث بين الساهرات عن رفيقةٍ تقاسمه متعة السهر، يلقي بشباكه وينتظر صيدًا يأتي به الوقت، سارحٌ في كتاب وقد احتله الأرق، يقلب صفحاته بملل، الليل مليء بالحكايا، وبوده لو يكون فيه الساهر الساحر.

أبهره ظهورها الخاطف في المجموعة، إذ رآها بدون أي تكلفٍ تحتل مكانتها في القلوب، ضحكتها البريئة الصافية، تعليقاتها الودودة النقية، كل هذا كان كافٍ ليجعله يخطط ليجعل منها ضحيته القادمة ، كطعمٍ ألقى عليها بالتحية، ليجدها ببراءةٍ تردها بأحسن منها، مازحها حدَّثها عن مغامرات خيالية، خيالاتٍ طالما صدقها عقله الغريب، بكلماتٍ ندية روى عطش قلبها، وبينما هي منصتةٌ غافلها، أرسل أصابعه تجوب بهدوءٍ تحت غطائها، تداعب مواضع باتت تظنها بعد فتور علاقتها بزوجها مُحرمةً، فإذا بها تفسح له المكان في سريرها البارد...

ثلاثة أيام بلياليهن كانت كافية، ليجرب معها كل ما سمع عنه أو قرأه في الكتب، ثم غاب، لتبدأ رحلتها في البحث عنه، عن أنوثتها التي عادت معه، لعله تجاوب معها مرة أو ردَّ عليها يومًا التحية مُتكلفًا، ثم ما لبث أن أصبح مُتبرمًا مُتذمرًا، وقبل أن تسحب يدها أغلق عليها الباب، فلم يترك لها حتى أصابع تعضها من الندم.

غابت في غفوةٍ يائسة ثم تمطت وعدَّلت من جلستها...كان هذا كافيًا لبدء حياة جديدة ومن الآن .

غمرتها هذا المساء نفحة شديدة الإشراق، تسمَّرت عيناها على القمر تريد تفسيرًا لما حدث، وتركت الليل يبدد صوت حبيبهاعادل في أرجائه، بدت طريقة قوله مضحكةً لكنها كتمت

ابتسامتها، كان خائفًا وهو أمرٌ جيد، فهو يعني أنه لن يجرؤ على ارتكاب أي خطأ معها، لكنه ولَّد لديها توترًا رغم الصمت، كانت قسمات وجهه مترددةً حائرة، وعيناه تحكيان قصة حزنٍ عميقٍ.

ماذا لو لبت لحظة اللقاء المجهول؟ ثمَّة رغبة محمومة هيأت كل أجهزة جسمها للترقب حتى تتم... ظروف الترف التي أحاطت بها نمَّت ما لديها من آمال بتغيير ما تراه خاطئًا من مفاهيم مجتمعها وأحكامه، خاصةً ما تعلق منها بالأنثى..."داعية حب"هكذا حلمت أن تكون، في زمن كان هناك اقتتال شديد وألم و خوف، لعنة هي الحرب حيث حلَّت لم تحمل إلا اللعنات.

صداقة فريدة من نوعها بين محيطين مختلفين جمعتهما، لم يبق منها إلا تنهيدة و رائحة تلتصق بجسمها، تسري إلى قلبها، وتظل تنغل في الروح، كان بارعًا في إخفاء هويته، وكانت هي الضحية الأقرب كيف تظهر تلك النزعة التدميرية لدى الطيبين؟ أو كيف يغمض لهم جفن دون أن تنتابهم كوابيس؟

لا أحد يرى ذلك، لكنه حمل قلوب كل من عرف من النساء علقها حول رقبته مثل قلائد خفية، يتظاهر أنه يشعر بالراحة وهو ينوء تحت ثقل ذلك العبء، حرة كانت مثل نقطة نور تفوح همساتها بعبق الياسمين، مد يده أراد منها أن تحتضنه، نظرت إليه

نظرة حملت الكثير من الملامة، فقد أقسمت أن تحمي قلبها فلا يؤذيه أحد، والآن تلوم نفسها يتلاعب عقلها بها يظهره في أحلامها، خيط أمل دقيق كان أغلظ حبل وهم تعلقت به؛ لترى حياتها تذهب إليه، ولا تعرف كيف تملأ نقصانها.

تتراكم في الذاكرة صور تضج بالحب والحياة، تتكدس الأسماء فيها كنجوم تضيء وتختفي، وتفاصيل أخرى تبدو بلا أهمية مقارنة باسمه...

عند هبوط الليل تبدأ الحكايات؛ حيث يبحث كل ساهر عن قمر ليلته أو نجم يخاله لا يأفل يراهن عليه باقي النجوم، جلست لونا عاشقة الأساطير تستمع إليه كما تستمع لصوت المطر، كان يجاريها ويدعوها لحوارات متنوعة، ولم تكن تعلم كم سيكلفها ذلك فيما بعد...

ساعدها على التحليق عاليًا لأكثر ارتفاع، وصار وحده يتحكَّم بخيط طائرته الورقية التي راق له طيرانها في سماه، شد الخيط أكثر مما ينبغي فأثار ضيقها، خرجت وقد واربت خلفها الباب، انتظرت احتجاجًا باسمًا لغيابها، بدأ حماسها يتلاشى، رأت حكايتهما تنتهي كضباب، لقد استوطن قلبها لكنها تعاني لعنة الكبرياء ، وهو... من يدري وهو يغالي بالعناد، بدت الرحلة

مرهقة في النهاية، تمنى كلٌ منهما أن يختار طريقه إلى الراحة، لولا أنهما تبادلا الحب كثيرًا.

غابت شهوراً عن الأصدقاء ظنَّت أن أحدًا لن يشعر بغيابها أبدًا، لولا أنها التقت غادة بثوبها الأسود الأنيق، مع ابتسامة سرورٍ هادئة على شفتيها حين بادرتها قائلة: "أشعر بالأسف لغيابك يا غالية، افتقدتك"

أن يحدث مصادفة ما لا تتوقع أجمل بكثيرٍ من أن تتوقع، كلماتها كانت رشَّة السكر التي تحتاجها لتنسى مرارة كل ما حدث.

غادة الصداقة القديمة الأصفى، ما أجمل أن تمري بيومي، ما أجمل أن نلتقي الآن بعد كل هذا الغياب، ابتهجت لسؤالها الناعم وضمَّتها، سعيدةً بدفء لهفتها النابضة بالنقاء.

عن هذا اللقاء تحدثت غادة

سألتها إن كانت بخير؟

ظلت صامتة لبعض الوقت، ثم هزَّت رأسها كانت تبكي بهدوء، كانت الدموع التي بدت في عينيها كافية لتحويل أفكاري للتعاطف مع كل ما مرَّ بها، كنت أحس الوتر الحساس في حزنها وأسفها، واستطعت أخيرًا حصر ضيقها وقلقها في نقطة خفيفة جدًا كما أرى، وإن لم أستطع حيالها فعل الكثير، كان الأكثر

حسمًا ما تنوي هي فعله، إنني لا أدافع عنها، لكن على ما كان من تعاملي معها، فإنها مختلفة جدًا عنه...

لست أنسى تعابير وجهها حين قالت وهي تتنهد"كنت أريدها علاقة محدودة جدًا"، كنت قريبة لقلبها...نحن مجتمع صغير في هذه المدينة الكبيرة وظرف الحرب هذا جعلنا أقرب.

كانت مسرورة لأني ابتعدت عن أشد النقاط ألمًا لها (صمته) مع أنني اعتبرته قلة إحساس كبيرة، كنت خائفة جدًا من إيلامها، أعرف أنها ليست قوية بما يكفي، لكن ثمة ألم لابد من مكابدته، كان من الصعب تقبل تفكيرها بأن الهواء الحلو النقي ممتلئ بأنفاسه، كان هذا مذلًا جدًا بالنسبة لي، كلمتها بعد نفاذ صبر وعلى الرغم من أنه كان مخطئًا، إلا أنها رفضت سماع لومه...هذا دفعني للقول أن تحفظه وصمته كان ناتجًا عن رقته نحوها فهو وإن كان أقرب للجبن إلا أنه لم يكن كما اعتقدت على الأقل قلة إحساس... لقد وجدت سلواها بالبكاء، أما هو فقد حسم الأمر على أية حال.

أمام اللوحة

اقتربت منه كثيرًا ثم أسندت رأسها على كتفه وقالت: أعتقد أنك جعلت الألوان قاتمة بعض الشيء...أم كان هذا بفعل المطر؟ كانت فخورة به، لديها اعتزاز جميل ورقيق في رؤيته أمام لوحاته، رغم القلق الذي تظهره رؤية عيناها السريعتان لتأثير هذه اللوحات في الغرباء.

قالت وهي تنظر من فوق كتفه: إن شكلك وطريقة وقوفك رائعان جدًا...وابتعدت عنه للحظة لا أكثر، كانت قد تظاهرت بقطف بعض الورود حين التفت إليها ليقول: أعتقد أنني نجحت كثيرًا في رسمك...

مضت إلى الداخل مُبتهجة سعيدة، تركت المحادثة تتدفق فيها بلطف وهدوء، كان هناك الكثير من الأسئلة التي تمنت لو تعرف الإجابة عليها، لكنها فضَّلت عليها تلك المحادثة المرتجلة، وأحسَّت أنها دافئة كثيرًا وعطرة، نظرت إلى الشمس التي بدت هي الأخرى رائعة بلونها الذهبي المنعكس على الأشياء، انتزعتها غمرة من المتعة والكمال من قلقها، فجلست للتمتع بها وبالمعنى الخفي لهذه المحادثة، لقد تعارفا بشكل رائع قبل ذلك في مناسبة يبدو من الأهمية الآن أن تذكرها، بدت امرأة

راقية جميلة جدًا، كان سعيدًا بكل شيء ومبتهجًا لموافقتها على فكرة أن يرسمها، أسعدها أنها موضع اعجاب من إطرائه، شعرت أن غيمة رقيقة حالت بينها وبين الشمس، استمتعت بهذا، بل لقد كانت بالمزاج الأكثر فرحًا في الوجود كله، وإذا كان ثمة ما تحبه فهي تلك البقعة التي تجمعها به(أمام اللوحة) كان في حالة من السكون الصافي وهي ترنو بنظرها إليه، فعادت إلى ذكرياتها قبل أن تفقد تلك الأحاسيس الرقيقة ملامحها.

جلست بمعزلٍ عن الجميع، تُقلِّب كلمات محادثةٍ ليست بالطويلة معه، إنها مسألة وجودٍ بلا شك لكن هل لها أن تستعير جوًا آخر غير الذي ألفته لوجودها؟ وأن تبتعد عما اعتقدته مضمونًا لها؟

عبثاً حاولت المقاومة... لكنها وجدت نفسها تستعيد حواره، ما الذي فعلته بها كلماته، إنها تلامس شيئًا ما فيها، شيئًا داخليًا خاصًا جدًا، وفي نفس الوقت لم ترتسم أبعاده بعد، ولم يتضح لها أنه سينتهي خارجيًا عامًا، وأنه سيصبح سمةً لها والصبغة التي ستصبغ حديثها، كتاباتها وكل حياتها.

كيف تبدو عاريةً أمام المرآة؟

وكيف يمكن لجسدها أن يكون الوحي المُلهِم؟

لم تحاول ولم تهتم يومًا بالإجابة على مثل هذا السؤال... لكنها الآن خارجةً عن حدود رؤاها، وبدون أي تفسير تقف عاريةً أمام المرآة وقد أطفأت الأنوار الحمراء لكل ماعرفته من قبل، وتركت الضوء الأخضر للحرية ساطعًا أمام احتمالات العرض دون حدود...

كانت مسرحيةً على بساطة شكلها صعبة القراءة والتمثيل، مسرحية هي والمرآة بطلاها، وكان أصعب وأخطر نقطة فيها هي تبادل الأدوار، وربما بسبب ذلك نامت راضيةً عن نفسها تلك الليلة.

هل كانت مُحقة؟

أهداها سلسلة ذهبية وتعليقةً نقشت عليها "آية الكرسي"، قال: أهدتها لي أمي ليلة سفري"هذه الآية ستحفظك"، هذا ما قالته وهو ما تعتقده فعلًا، وأنا الآن أهديها لك أتمنى أن يحفظك الله ويحفظ سعادتنا، وكذلك خاتم كبير من الذهب الخالص كان له، قلدها أشياء أخرى عديدة لكنها لم تعن لها ما عنته هذه الأخيرة، لم تتمالك نفسها عانقته وقبلته.

الآن بوسعها أن تفعل وقد تزوجا.

عادت بها الذاكرة إلى اليوم الذي جاء فيه لخطبتها، جلس الجميع مستأنسين لحديثه الشيق ودعاباته عندما علا صوت جهاز الإنذار من سيارته كان عليه أن يخرج ليرى ما يحدث، هطل المطر غزيرًا ذاك المساء تمنت لو تضمه أو أن تستطيع بأي طريقةٍ أن تجفف ما أصابه من البلل، وجود أهله وأهلها منعها، ابتسمت لوجهه المبتل بالمطر، فوعدتها عيناه بالكثير.

مرَّ أسبوع واحد على وصولها إليه، أخبرها أنه سيعود صباحًا إلى العمل، خطف الخبر الابتسامة عن وجهها، هكذا بكل هذه السرعة تنتهي كل تلك الوعود؟!

"أسبوعٌ واحدٌ فقط من العسل" كيف يمكن أن يصيبه الملل بهذه السرعة؟ توقفا عن الكلام برهةً، إنها تجيد كل شيء إلا المبهرج، كل ما تقوله حقيقي، كل ما تفعله حقيقي، وكل ما تتزين به من حلي حقيقي، لا تحب المبهرج في حياتها أبدًا.

شيءٌ من النفور لامس قلبها ثم صرفت نظراتها عبر النافذة، كم كانت جميلة الزهور التي غطَّت المرج... للأمانة لقد أخبرها عن جمال المنظر أمام نافذتها، وعن زهور تُغطي المرج بأكمله، لكنه لم يخبرها أنها ستمضي أغلب وقتها وحيدةً أمام هذا المنظر... هو لم يخبرها كامل الحقيقة وعليها أن تعرف هذا منذ الآن.

الأغطية النظيفة المزخرفة التي وضعتها ستبقى نظيفةً هذه الليلة، وقميص النوم هذا لا حاجة له أيضًا، لا سهر... لا مزيد من الكلام المعسول؛ فغدًا عمل ركزت نظراتها على وجهه وسكتت.

ليتها أبدت إصرارًا نحو الرجل الآخر، كانت في الخامسة والعشرين عندما تعرَّفت إليه في العمل، لكنه كان يصر أنها لم تتجاوز الخامسة، بعد أن أغدق عليها الحب؛ تمنَّت لو تبقى معه،كان يكبرها بعشرين عامًا، لكن جنة الحب تجلب للقلب الصحة مهما كان عمر المرء، حال بينهما قرارٌ عائلي، وها هي تقارب على الثلاثين وهي تنتظر قرارًا بالرجل المناسب أن تدخل

الثلاثين بدونه، يعني أنها دخلت طور العنوسة وقبول أي عرض هو خير من هزيمة العنوسة.

لابد من القول أنه بدايةً لم يظهر كأي عرض تقهر به العنوسة، لقد أظهر الكثير من المغريات؛ العيش في أوربا، الحرية، السعادة، العمل، والمال الكثير...كل ذلك كان له تأثيره على مشاعرها، الآن فقط تتذكر هذا، ومثل هذا الفكر يبعد عنها النعاس.

استلقت ملتفة على الأريكة بدت رائعة جدًا بمظهرها الملائكي الهادئ، توقف بضع دقائق... ومن ثم اقترب منها، وبلهجة هامسة تناسب نعاسها نادى: صغيرتي...

كان على وشك أن يخبرها ببعض الرؤى والخطط، لكنها غابت في غفوة صغيرة هادئة بعد العشاء، تأملها تأملاً سعيدًا، هكذا ستمضي نصف ليلتها، لاتزال طفلته المدللة التي لا تمتلك إرادة قوية أمام إغراء النعاس، باتت عادتها اللطيفة هذه مألوفة لديه...

وأقنع نفسه بالاسترخاء على كرسيه مكتفيًا بالعبث بما أمامه من أوراق وهو يستمع إلى الموسيقى...كان يحاول جاهدًا أن يتجاهل تلك الأجزاء التي سمعها من محادثتها مع أمها "ماما لقد عانيت كثيرًا، لا أقول أني لست سعيدة، ولكن يبقى عدم التكافؤ

عائقًا"، كانت تتحسر بهدوء على حظها القاسي لأنها لم تستطع الانسجام معه رغم أنها تحبه، أو على الأقل هذا ما كان يظنه...

أضحكته هواجسها الصغيرة، والأسى المخفي لأنه لم يستطع أن يوفر في نفسه كل ما ترغب به، لكن ذلك لم يقلل من احترامه لشخصه"مادام الإغراء باقيًا"، واستغرق يتذكر تلك الأجزاء التي جعلتها تتقد، ترتعش وترتجف حيالها، استعاد حتى بهجتها لكونه حبيبها المفتون، وهذا ما منحه شعورًا أدفأ برومانسية الارتباط بها، ثم انخفض شعوره إلى ما يُشبه التداعي وهو يتأمل كم سيستمتع أكثر لو أنها واقعة تمامًا في حبه.

الملاك الغائر

صار العالم حزينًا مذ أجهضت حملها، لقد جاءت هنا لتعيش، لتنسى، لكنها وجدت نفسها حبيسة الألم والذكريات...

أرعبها أن تفضي بها الاضطرابات النفسية التي هزتها للإجهاض، لم يكن هذا الزواج بمستوى حلمها، لكنه تم ولم يعد من السهل التراجع الآن، وبعد خمسة شهور من الجهود المضنية والمعاناة؛ فقدت جنينها، لم تجد كلماته في تهدئة الصراع في داخلها، أو منعها من مداومة البكاء، حزنها المثير للشفقة جعل الطبيب يقرر حاجتها للمؤانسة وللمواساة، ونظرًا لمشاغل زوجها الكثيرة والدائمة اقترح عليها السفر.

أمضت أيامًا حزينةً ومرهقة، لم يشك يومًا بحجم ألمها، لهذا كان يحذر أن يزعجها، خاصة بعد أن حكت له الجارة عن غنائها الحزين كل يوم، وما كان يحز في نفسه أنه لم يعد يجد سبيلاً لإدخال السعادة إلى قلبها، وجد أن الشهامة تقتضي أن يعجل لها بهذا السفر، ثم ما لبث أن وجد نفسه يبكي وهو يرى دموعها حين ودعها في المطار.

كانت عودتها أول أيام العيد، حيث الاجتماع أهم مظاهر

الفرح بقدومه، وكان ابن عمها أحد من قَدِموا للتهنئة بالعيد تسبقه رغبته بأن يراها، بعد أن تزوج كلٌ منهما ومضى كلٌ في طريقه، ظنَّ أنها ستكون بائسة تعاني الوجد وألم الفراق، وأنها ربما تعاود العتب والهذيان كما فعلت في المرات القليلة السابقة التي التقيا فيها، أو أنه سيجد حول عينيها علامات من فرط البكاء.

حبست أنفاسها قليلاً، لم تسمع نصيحة من نصحوا باعتزاله، بالغت في أناقتها وزينتها ثم خرجت إليه، لم تبد كبشر بل ملاك لاينقصه سوى الجناحان، هزمت شمس ظهورها ما رسمه عنها من أطياف حزينة، أغراه أن يسمع صوتها ليبحث بين موجاته عن شيءٍ من الحنين للحب الذي كان، لكنها أبهرته بمنطقها وهي تؤكد أن لا عودة لحياة الأوهام، كان الجميع يراقبونها فلا أحد يشك في حقيقة ضعفها في قربه، وبقدر ما كان الموقف مُربكًا لها كانت صامدة، لقد اتخذت قرارها، وحدها عيونها كانت تروي تفاصيل الحب والحنين لكنها لن تسمح له بالنظر فيهما مجددًا.

كان رفيقها في أول سفر لها خارج حدود المدينة، وكان ملاذها فيها وحارسها الأمين، كما كان رفيق الكثير من الرحلات فيما بعد والمشاوير، لطالما استمع إليها تغني بمرح وشاركها هذا

الغناء، إنه من علَّمها السباحة والرقص، لقد اجتازا الكثير من المخاوف والصعوبات حين اعترف أحدهما للآخر بالحب، فمن أين أتت بكل هذا الفتور.

منظر الملاك الفاتر الذي دخل عليه لم يشفه من الأرق الذي أنهكه، أين طفلته التي تسللت ذات ليلة لتلقاه تحت منزل والديها، تلك التي قضت معه ساعات عديدة من الليل، وما سمحت له بقبلةٍ مازال يشتهيها، توقع أن ترتمي بحضنه تروي له تفاصيل حظها العاثر وخطأ قرارها، لم ير من داعٍ لإلقاء اللوم عليه لأنه تزوج بمن اختارتها أمه، كان يطمع أن يجد صدرها رحبًا لعرضه أن تتقبل أن تكون هي الثانية، بعد أن أعجزه أن يحيا معها كشبح يطوف به في كل مكان،لكن الأمر الذي لم ينتبه له أنها لم تترك زوجها نهائيًا وأنها عادت الآن في رحلة استشفاء فقط.

وأنها لم تنس يومًا أنه تركها ولم يكن مخلصًا لها، وما عليها إلا أن تنتقم لكبريائها، وبالرغم من أن الجميع قد علموا أن هذا لم يكن بدافع من الغضب بقدر ما كان من الألم، استطاعت أن تمنع مشاعره الخائنة الهزيلة من أن تستمر.

بقايا طموح

ومن الأزمات ما يمنحنا الدافع والقوة... ومنها ما يدمرنا إلى الأبد من واقع مفزعٍ أليم، وظروف كانت جدًا استثنائية في مثل هذا البلد، وقد غدت بعض أحلامها أكثر إزعاجًا من الواقع، بدأت رحلتها مع الكتابة تعكس صور مدينتها - التي عاثت بها الكارثة - بقلبها الذي يتحطم.

كان الحزن ينخرها من الداخل، حتى فقدت رقة بشرتها ونضارتها، واختفت ابتسامتها العذبة وصارت الدموع دائمة الحضور في عينيها، ولم تعد تهتم بشيء من مظهرها، هذه القطيعة بينها وبين واقعها أهدتها مزيدًا من الصمت، حينها اهتدت إلى عالمها السحري في الكتابة، فراحت تتجول فيه بحرية، تسبح في عوالم من خيال، وتنسج قصصًا لم تحدث ولم تكن لتحدث مع مثلها مطلقًا، وقد تختلف بها الرؤى من قصةٍ لأخرى، تروي عن الحياة كما يُخيل إليها أنها يجب أن تكون.

كانت تكتب وتكتب، بعيدًا عن العنف الذي يدور من حولها وتتناثر أجزاؤه فوق رأسها...

تكتب هربًا من سكون الحاضر وغموض المستقبل في منفى الروح، تكتب وتحس بأنها تفعل ذلك لتفرغ شيئًا مما تجد من هم

أو حزن يلم بها، تبحث عن مهربٍ- وهذه طريقتها في الحياة- كانت الرغبات محور كل قصصها، وكتبت عن الحب تفاهات لا تليق، فيما الأزمة تبلغ ذروتها في البلاد...(هذا رأي بعض من قرأوا لها).

لقد تركت التيار يحملها برفقٍ أربعين عامًا، لهذا قررت أن تبدأ رحلتها مجدفةً عكس التيار بجهدٍ مضن، وقد كانت تشعر بالتعب أحيانًا وباللاجدوى فتتوقف قليلًا، لكنها تعود لتنهمك في الكتابة من جديد وكأنها بذلك تستعيد الرغبة في الحياة.

فراغ عظيم...لا مشروع...لا بقايا طموح...

كل هذا أفضى بها أن خلقت كما في كل حكاية رجلًا بأفكارها تحادثه، تحاوره، تعانقه، تعاتبه، وتبكي بين ذراعيه...تحولت هذه إلى مرحلة هامة في حياتها، مرحلة بمنتهى الجدية، ولقد أحبتها كثيرًا... وبعد سنة أو أكثر بات من الصعب إنقاذ حياتها الزوجية ورابطتها بزوجها.

كانت أحيانًا تتملكها الرغبة بهزه، بالصراخ، وأحيانًا تستبدلها بعناقه وسؤاله كيف نفذت الكلمات بينهما، بالبحث عن عبارات مجاملة تظهر أحاسيسها ورغباتها، ثم يختفي أثر ذلك كله وكأن شيئًا لم يكن، فتشعر بخيبة أمل لا تجد لها تفسيرًا...

كانت تتساءل، وتحمل نفسها المسؤولية كاملةً في إخفاق الحب، لقد ترك عمله وأصدقاءه، وتبعها عائدًا إلى الوطن في مغامرةٍ كانت نتيجتها كارثية، لهذا لم يكن من السهل أبدًا أن تبلغه دفعةً واحدة كل ضجر قلبها الذي بدأ يفتك بنسيج علاقتهما كعثةٍ متمردة، ولم تنجح أيضًا كل محاولاتها لإقناع نفسها بأن شيئًا بينهما في الجوهر- برغم ذلك كله- لم يتبدل.

عيد ميلاد سعيد

عارفة...أغنية مترفة....مشبعة بالذكريات، ولأني أستمتع جدًا بتلك الذكريات... يستهويني أن أعيشها بشكل خرافي أعيشها حبًا، تضحك!!!

ليس ذاك الحب الذي كان يقتلني إنها تعود به ليحييني... تحملني موسيقاها إلى عوالم سحرية دافئة عميقة ناعمة وهادئة كقلبك تمامًا...تنقلني إلى حيث العالم حقول ورد وأنا وأنت فراشتان... تودعني عند الفجر... أتساءل ويُضحكني السؤال أثمة تزاوج بين الفراشات؟

تزيد من تعلقي بك وأنت تقول: ستولدين من جديد على يدي...أحس بعاطفة جميلة.

عازفٌ يحتل ركنه في صالة المطعم، شمعتان ووردةٌ حمراء وحيدة، وأنا وأنت، طاولةٌ صغيرة وحلمٌ يتسع للكون بأكمله، الثواني عمر يطول والنبض حكايا، وحدها أصابعنا من كانت تجيد التعبير في هذا الزحام... في مطعمنا القديم أحتفل مع ذات العدد من الأصدقاء...يعاودني السؤال بعد كل هذا الغياب...

أي سر هذا الذي يشدني إليك، كثيرون هم من حولي، ولكن... وحدك معي، وحدك تملأ عيوني، ومعك وحدك صمتي

وحديثي، بدونك أشعر أني ناقصة كطفل أفلت يد أبيه وسط الزحام أحتاج يدك كي أعبر...أحتاجك.

ترى لو كنا الآن معًا أكان ممكنًا أن أحبك أكثر... لا أتصور.

إنه عيد ميلادي أرسم بإتقان ضحكة جميلة وأنظر في وجوههم متجنبة فكرة الحديث عنك.. يتحلقون حولي يجبرونني على الرقص ويعلو صوتهم بالغناء...أتمايل مع الموسيقى وأرفع رأسي كثيرًا إخفاء للدموع... يعلو التصفيق... قريبٌ أنت... أشعر بك... أحس بأنفاسك تقترب... أكون أمام خيارين... تضمني... أنفاسك الحارقة تلفني... أدرك كم تشتاقني... وأصبح أمام خيارٌ وحيد.

هي والحياة

أسلمت جسدها المرتجف لمياه الدوش الدافئة والدموع تنهمر من عينيها، بم تفكر؟ هي نفسها لم تكن تعلم...

وجوه الذين عرفتهم كلهم كانت بذلك المكان، هل للمياه أن تمحو كل تلك الخطايا؟

كانت مجرد فكرة عابرة، ثم ما لبثت أن غرزت أظافرها في جلدها كأنما أصابها الجنون، شفاها أن ترى الدم يسيل و تلك الحرقة التي أعقبت مرور الماء على ما أحدثته من خدوش، هبطت حرارة جسدها، لكن سقوطها في داخلها استمر بعد ذلك شهرًا.

موجع تذكَّر التفاصيل بشكل دقيق، وكذا تذكَّر كلمات بعينها من محادثات كثيرة... أمضت في الفراش شهرًا، لم تكن مريضة، ما حدث قتل فيها كل دافع للحياة، لاستقبال الصباح ومراقصة أشعة الشمس من جديد.

أكان خطؤها التزامها الصدق معه بكل التفاصيل؟ كم كانت تكلفته فادحة؟!

أعتقد أنه لابد من الخوض ببعض التفاصيل.

فجأة وبدون أي مبرر قرر أن يتركها وحيدة في الفراش بعد علاقة دامت سنين...

"السجائر مشاعل تؤجج الثقة بالنفس" هذا ما أقنعها به خلال فترة إقامته معها، أخذت سيجارة، وقد كان التدخين بالنسبة لها عادةً سيئة، كانت دواءً لطيفًا لها ساعدها على الغوص في أعماق نفسها، ها هو المخدر يتمكن منها، برفقة السيجارة لم تعد تعاني الوحدة، من هنا بدأت أول مغامراتها...

بعض الأشياء لا يمكن تقاسمها مع أحد، لكن الكتابة بالنسبة لي كانت شعور جميل بالتخفف والارتياح، كمن يتخلص من عبءٍ ثقيل، إنها نوعٌ من ترويض الألم، وهي طريقي نحو الحرية، ورغم قسوة ما عانيت، لازالت موسيقى حروفي تعزف الحب... هكذا قدَّمت لكتابتها لمذكراتها...

"لم يخلق الله مثلي، ولم تخلق وصوفًا أبدًا كالتي خلقتها له، جعلته كل شيء وأعطيته كل شيء لأنني... أحببته".

(ترى في كلماتها كيف تتنهد عميقًا ثم تتابع...) بالمناسبة هو لا يريد فتاةً للوقت كله، هو يريدها لبعض صباحاته وشيئًا من لياليه.

بدأت المشاكل...لا يريد لعلاقتهما أن تستمر، لم تعلم حتى قرر أن يهجرها.

"أعلم أنه على صواب، وهو يعلم أني أعلم".

"لم أكن أحبه" الأصح أنها تكذب، هو من لم يكن يحبها لكنها رفضت أن تقنع نفسها بهذا.

"سأرجعه بأي طريقة، سيعود ليُحبني أكثر... أكثر مما أحببته"، تذللت كثيرًا حتى عاد، احتضنته،"سأبرهن لكم كم رأيت نظرة الإعجاب في عينيه"، قبَّلها ودفن رأسه بين نهديها، فاحت رائحة الجنس، رفعت رأسه وحدقت في عينيه أرادت وعدًا بالبقاء، لكنها لم تر إلا انعكاس ذلها في عينيه، نادمةً تعض شفاهها"ليتني قبلها تعلمت كيف أقول لا".

(تسمع نحيبها وهي تتابع السرد) وحده البكاء رفيق لحظاتي الحزينة... من أين بدأت الحكاية لست أدري وكيف انتحت هذا المنحى؟!... الاهتمام دليل الحب كانوا يقولون وأنا التي قتلت باهتمامها كل الحب... هاربة من ذلك كله آوي إلى فراشي، وحده الذي يحتضنني بكل أحوالي، ولا يشكو مني إن أطلت المكوث، أحتضن المخدة، ألم يصدع رأسي الخاوية فلا أجد سبيلًا للنوم.

بدأت القصة منذ شهور...

صورة لفلاح يعمل بأرضه مُذيَّلة بكلمات فخر دوَّنها ابنه، أثارت البهجة والتقدير في نفوس قارئيها وكنت من بينهم، سرعان ما استحق هذا الابن أن ينتشر اسمه، ويستمر ليخلد في شهر الأم بما سطره في أمه من كلمات، ومع الاحتكاك بثقافته استحق صداقتي، ثم مع الأيام صار مصدر إعجاب حقيقي، ولكثرة من حوله من المعجبات أحببت التنافس"وما كنت يومًا أُحسن الاختيار".

لم يمض وقت طويل حتى تصدرت قائمتهن، أو هكذا ظننت، ومن الآن سأحرص على ذكر الأحداث مُنضبطة، وأتمنى ألاّ يساوركم الظن بأني أرويها كما يصب في مصلحتي، إنه لمن العسير ذكر مواقف ملأتها المشاعر، وحفتها الملاطفات لتغوص عميقًا بالوجدان، وتبقى محفورة بالذاكرة عصية على النسيان، خاصة وأن للألفاظ دور كبير في حفظ مصداقية القصة، ودفء أحداثها لكني معكم بمنتهى الصدق، كان لأكاذيبه فتنة وكانت تكلفتها على كلينا فادحة، هذا لمن أراد باختصار خلاصة التجربة.

أرقد منذ مدة في السرير، متجاهلة أشعة الشمس التي اخترقت ثقوب الستائر، والنسائم التي تسللت عبر النافذة المفتوحة، تؤنسني أصوات الجيران الآتية من خلف الجدران، ووقع خطواتهم في الطوابق العليا وعلى السلالم، لست بخير، أوعلى الأقل أنا أسوأ حالًا من المعتاد، أتأمل السقف وأتذكر، ما رغبت به، ما فعلته، وما وصلت إليه في تلك الأيام.

مرة أخرى أنا أنفض غبار تجربة فاشلة، لم أنفك عن المقارنة بينه وبين مَنْ سبقه، هذه المرة لابد من الإقرار، قبول حبه هو خطأي أنا .

إجازة

حملت الأكياس معه إلى المطبخ، سحب كرسيه و جلس يراقبها وهي تعد الفطور، لن تسمح بمكان لأحد جوارها، نظرة بائعة الخضار إليه وهو يشتري منها أثارت الكثير بداخلها، كانت نظرة مُفعمة تشي بكثير من الفضول مع الرغبة، من الصعب أن تحدد إلى أي حد هو يخونها لولا نظرة البائعة تلك، لقد وجدت فيها استهزاءً وتحديًا، تلك النظرة... كيف سمح لها بسرقتها منه؟؟؟؟

تناولت خيارة من الكيس وأمسكت بالسكين وقبل أن تبدأ التقطيع رنَّ هاتفه الجوال، وضع يده على هاتفه كما يفعل مراهق، وخرج ليتحدث همسًا، لم تشعر بالهزيمة كهذه اللحظة... تجاهلت المكان، وأهملت السكين، وشيَّعت حواسها كلها تراقبه.

الأولاد أمام التلفزيون بصخبهم المعتاد، يتابعون برامجهم المفضلة وهي تمسك بهاتفها لا تكاد تتركه، تصنع ما تحس أنه سيطلب منها تضعه وتذهب دون أن تصدر صوتًا، لقد استخدمت برنامجًا لربط هاتفها بهاتفه، يسمح لها بمتابعته...

خرجت أتأمل انعكاس الصورة على وجه الماء في المسبح، الطقس جميل لكني لا أملك الرفيق، نقرت على زجاج المطبخ

أن تعالي، رائحة النرجيلة تفوح بالمكان أخيرًا أحضرتها، وجلست حيث أجلس تتلاحق أنفاسها تسحب وتنفخ...

- أهكذا يزول توترك؟ سألتها وقد بدأت أشعر بالغثيان وبصداع كان يشتد مع سرعة أنفاسها.

- تنظر إليَّ هل جئت هنا لتقرأي؟

- لا هواية لي سواها!!!

- تعالي أقص عليكِ ما لن تقرأيه في كتاب...مشدودة أنصت لها، يقترب ابنها الأصغر تخفض صوتها كي لا يسمع، ارفعوا أصواتكم لم آت لأسمع... يصرخ ويبتعد غاضبًا.

- إنه يُقلد ما يفعله أبوه تمامًا... تعلِّق هي.

- على أية حال الأطفال يحبون الاندساس بين أفواه الكبار، بعضهم يلتقط القُبل، وبعضهم يتلهف لالتقاط الزلل، كنت أشعر برغبة في الحديث معها، وكان صوت الأطفال يعلو بحماس وهم يقتربون من المسبح.

أصعب ما في الأمر أن عليها المحافظة على صورة زوجها أمام الأولاد، رغم ما اكتشفته من خياناته، طلبت منها أن نتمشى قليلًا، رفعت صوت الموسيقى، أمسكت بيدها وضحكت، كل ما تحتاجينه هو الرقص، فلنرقص إذًا...

قاومت كثيرًا كي لا تنهض، كان وجهها متورمًا من فرط التدخين، وكانت يدها ترتجف، تحوَّل لون شفتيها وهي تقرأ رسائله إلى الأخريات، حدث ما فكرتُ به، بدت كأنها تخطط لأمر ما من حركة عينيها السريعة المتوترة، في اليوم الفائت كان يردد أغنية"الحب كده"، عندما عرفت أن أحد ما قد جاء- و ليس من أحد سواه ليأتي بمثل هذه الساعة - ارتفع صوتها بالغناء...

- لماذا تفعلين؟ سألتها

- لن تفهمي مهما شرحت لكِ قالت وشعرت بالندم لأني سألتها، وضع نافورة متحركة على سطح الماء في المسبح، وبصمت أخذ النرجيلة من يدها، نظرت إليه وتابعت الغناء، كانت ترى شرود عاشقٍ في عينيه، دارت آلاف المرات فوق مياه النافورة، هل ستدوم هذه الحركة إلى الأبد!!!

عاودت مرارًا النظر إليه، وشعرت أنها في دوامة لن تستطيع الخروج منه.

ركضت إلى غرفتها، هناك مكثت تتلوى... تتشنج... ثم ألقت بنفسها على السرير، وانفجرت بالبكاء، كان انهمار دموعها يدل على ألمها، كان عليه أن يدخل الغرفة ويسأل ما يجب أن يُسأل... مستقبل أسرتها، الآن؟؟؟... الآن بعد كل الذي بذلته

حتى وصلت به إلى هنا، كان يليق بها حياة أخرى، تابع الدندنة وهو يدخل الغرفة...

- "هل زال صداع رأسك؟"لابد أنها أدركت ما يعنيه من سؤاله للمرة الثانية أغلق النافذة".تركت مصروفًا للأولاد في الدرج قربك"، ثم سمعت وقع أقدامه يغادر الغرفة.

مضت خلفه، وصلت معه حتى باب السيارة، لم يلتفت إليها، جال في خاطرها كم كانت تعيسة عندما فعل مثل هذا آخر مرة، حدث ما كانت تخشى أن تفكر به، لم ترغب بالانحناء لالتقاط فتات قلبها وسط هذه الزحمة، تركته يغادر، مكالمة لن تكون طويلة تشرح له تعاستها بما يفعل ومدى حزنها، لذلك كانت تهز ساقها بلا توقف وهي تتحدث معه، أطفأ أولادها جهاز التلفزيون، وراحوا يتابعون حديثها.

لم تأبه لإشاراتي، أفرغت ما في جوفها، لكنها لم تستسلم للبكاء رغم حاجتها إليه... أقبل ابنها رفع ذراعها لف به رأسه أسنده إلى صدرها، وراح يربت بكفها على شعره، لم يستقر جسمها بعد، ولم تعد تستطيع التنفس، يناديها لا تسمعه، ضاحكًا قال: "الحل أن نختار شيئًا من أغانيها المحببة لتنسى"، يضم يديها لا يستطيع الكلام من الضحك، يقول لها: "لابد أن

الشيطان الآن مندهشًا يضحك مما فعلت... كم أصبحت جميلة عندما غضبت، اختفت خطوط التجاعيد التي ظهرت على جبينك، وتورد وجهك ألا ترين؟"

توقف لحظة عن الضحك، وتوجه إليها هذه المرة جادًا بالسؤال: أين تموجات شعرك الفتية؟

ثم أردف خذي أحمر شفاهك، أريده ظاهرًا على شفتيكِ، يخرج من الغرفة ضاحكًا، ينزل الدرج قهقهاته تصل إلى مسامعها، نويت قراءة الفنجان لك يحاول عمدًا أن يُسمعها... أنا أصنع القهوة لأبي سيعود الآن كمن يعود من حفلة زفاف...ينظر إلي... أراقب السواد الممتد أمامي، النسمات أبرد من ذي قبل، يسألني ألا تريدين فنجانًا من القهوة.

تركته ومضيت دون جواب ، غبت شهوراً وإذ بها تتصل لتسألني :

أكانت خيانة؟! ثم تابعت تروي؛ أشمئز من نفسي كلما تذكرت صورته، كل نظرة منه كانت خيانة لزوجي...

آه، في الحروب يكتشف الإنسان في نفسه رغبات جديدة... إنه لا ينظر للنساء إلا من مؤخراتهن، لا شيء آخر يجذبه، كيف صرت أحلم به.

أي عين تلك التي أرتني جماله... سمرة لم أعرفها في وجوه من عايشت من قبل، عينان سوداوان، سوادها بدَّد كل الألوان التي رأيتها في عيون أسرتي، فم آسر في صمته وحديثه... أتذكر أنفه الكبير وأضحك كيف لم أر فتحتي منخريه الواسعتين من قبل، كانت عين الحب عمياء أو لعلها عين الشهوة، بقوة جذبني سكن قلبي ثم امتد كوباء ليحتل سائر الجسد.

هو شاب يزهو الكون من حوله، و أنا التي قد جاوزت الأربعين بقليل شاعرة ببرودة الخريف، كنت أتحدث في أحد المؤتمرات وكان يراقبني، بعينين واسعتين تخترقان القلب حتى تشغل شغافه، وعندما انتهيت اقترب ليشكرني كانت طريقته غريبة قليلًا إذ عبَّر عن رغبته باحتضاني... بقوة محمومة جذبني إليه...لا أعرف أكان قبولي المذهول صدمة لي أم له؟!! أكان قبولي كلامه غريبًا أو أخرقًا؟!!

لكني وقتها لم أكن وحدي، رغم أني لوهلةٍ خلت أننا كذلك، نظرت بشكر للأرض التي جمعتنا، اعتذرت عن قبول دعوته بحجة أني مسافرة غدًا، ودون تفكير أخذت البطاقة التي أعطاني وغادرت المكان، وأنا لا أعلم أن صورته لن تغادرني إلى الأبد.

مع انحسار شمس النهار، جلست أرتب ارتباطات الغد، وحدي كنت في الفندق طلبت من العاملة الاتصال بزوجي لأطمئن إلى أحوال العائلة، بينما ناشدت بعض الراحة بالاسترخاء على السرير، راودتني ابتسامته وطفت معها في عالم الأحلام، قاطعني رنين الهاتف، عامل الاستقبال يخبرني بوجود من يسأل عني.

إنه هو يهيئني لحكاية حب لا يمل ذكرها، ابتسمت مستغربة مجيئه أخذ يدي بلا إذن احتضنها بين يديه تعبيرًا عن شكري، لست أذكر أأنا التي تعمدت نسيانها أم كانت مجرد صدفة، لكنها بقيت كذلك، عاودني شباب الحياة التي اعتقدت أنها قد بدأت تغادرني، ثم أطرقت خجلى أمام عيون زوجي التي كانت ترصد المكان.

توسلت إليها... اتركينا قليلًا... قليلاً من الوقت فقط... لم يحن الوداع بعد، لكنها لم تفعل، نهضتْ، لم آبه لكلماته الأخيرة قال إن لديه ما يهمني..."لا أعتقد أن شيئًا قد يهمني أكثر من أن أعرف اسمًا لِمَا أفعل!!!

حب؟!!! نزوة؟!! خيانة؟!! خضوع؟!! عطش!!؟

سألته فجأة"لنترك الدنيا ونرحل معًا.. ونتزوج؟!!".....

صمت برهة، خلتها صحراء من الوقت، نظر في وجهي نظرة

مذهولة تجاهد كي تكون ما يشبه الابتسامة العوجاء قائلًا: "ألستِ متزوجة؟!!"

بلى..."كم يصعب الآن شرح عمق الانفصال بيننا" قلتها بسري

صمته كان الرد...

كانت تلك الدقائق الباردة التي تمر، كلطمات على وجهي، قاطعته لأرحمه من الحيرة التي تخبَّط فيها....

"لا عليك؟!! كنت أمزح فقط؟!!"وانتزعت ضحكة من براثن غصَّتي، وضحك هو متنسمًا أنفاس النجاة...نظرت في حقيبتي أفتش عن شظايا كرامتي، لا أذكر أينا غادر المكان قبل الآخر...

حسنًا في انتظار الاتصال الذي طلبت، دعوني أُحدثكم قليلًا عن زوجها، "محبطٌ عنيفٌ رغم نجاحه بالعمل، هذا هو باختصارٍ زوجها، الذي أضمرت طويلًا خيبتها معه، ربما من القسوة حقًا أن تدور عجلة القدر لتسحق أحلامنا، وتخفي أشياء جميلة ألفناها دون أن يدري أحدٌ لماذا؟ لكن أيصح أن يصبح الخيال واقعًا بديلًا قائمًا بذاته، وأن تجد من قسوته ذريعة للتحول والتورط بما لا يليق بها من أفعال، تبقى الأمور طيبة ما دمت على قيد الحياة.

أحسست أنها تستجيب لاقتراحي حين قالت :

استعجلت طلب الاتصال بزوجي وأنا أفكر بما يجب أن أقوله له تعال: لنوضح الأمور، لم تفترض أن عليَّ أن أعطي كل شيءٍ دائمًا؟ ربما أخطأت لكن من غير المعقول أن تجعل الخطأ كله عليَّ، لقد اعتمدت على فهمك لي، لظروفي، وطريقة تفكيري، توقعت أن تعذرني، كنت ضعيفة فلم أعترض على شيءٍ منك، لكنك كنت غامضًا وأناني كما أنت دومًا ولهذا لم تُصرِّح لي يومًا عن شيء.

أن تقرأني... كنت أريدك أن تقرأني، أن تقوم بتقويتي، لكنك لم تُقدِّر أبدًا كم أحببتك، الطرق التي طالما عبرتها من قلبي وجسدي تتمنى لو يتاح لها أن ترتاح من حنين الذكريات اليوم، لِمَ تركتني هكذا حزينة كآخر سرب حمام غادر مدينتي، ضائعة كقلب أم تاه منها صغيرها لحظة إطلاق النار وهي تعبر الحدود، فارغة كهذا الكون، كئيبة حد العجز، حد الصمت.

وحده حبنا كان الحقيقة النابضة بكل هذا الوهم، حسنًا دعني أخبرك أن الفراق بعد الحب يحدث أيضًا، وكغيرنا مررنا به، ومع ذلك فلقد حققنا سويةً نوعًا من الفرح، أولادنا ولهذا أقول هبنا هذه اللحظة فقط، دعنا لا نبتعد أكثر، عد... ولتكن هي

فرصتنا علنا نتذكر أو ننسى، فهذه هي الطريقة الوحيدة لإنهاء كل هذا الوضع، أقول لك هذا وأنا أبتسم.

كم ضحكنا حين أخبرتني أنها استيقظت على رنين الهاتف وهي تحرك يدها كأنها تمزق بطاقته التي احتفظت بها.

غيرة و حب

أسندت ذراعيها إلى حافة الشرفة، وتركت للمطر أن يبلل شعرها وظهرها المغطى بقميص رقيق من الفازلين الشفاف، العروق المنتبجة بظاهر يدها، تُشير إلى ما كانت عليه من انفعال...غايةً في الغواية كان التواء خصرها، والبلل الذي غطى معظم جسدها... مرَّ أكثر من نصف ساعة وهي تقف في مكانها، سألتها ماذا تنتظر؟ اصفر وجهها، كان التوتر واضحًا عليها، نظرت مليًا بعينين مليئتين بالغيرة والضغينة، وبينما كانت تحاول إخفاء انفعالها، التقطت ألمًا ودموعًا زادت عينيها جمالًا.

أعدت وضع يدي في جيوبي، لم أقترب منها حالت غيرتي عليها بيني و بين احتضانها، وبتلك العصبية التي أجدها من تعلقها به، أخبرتها أن عليها أن تسعى لاستشارةٍ نفسية، علا صفير هاتفها مشيرًا إلى وصول رسالة، لم تظهر انزعاجًا من كلامي، بل نظرت مبتسمة وعينها لا ترى إلا الهاتف.

لا داعي لمزيد من التساؤلات و التخمين حول غضبي من حبها له، فقد خبرته جيدًا إنه مجرد فلاح في المدينة، يمسي على"فخاذ امرأة"، ويترك للصباح أن يرتب له صدفته مع مؤخرات أخريات، فيما عقله منشغل بساقي رئيسته بالعمل، وهي

تركن سيارتها أمام مبنى العمل، تطأ الرصيف بكعبها العالي، ويحس وطأه بقلبه، ثم تضغط زر القفل الآلي لسيارتها، ليبدأ صخب الخيالات في عقله المذهول بقِصَر تنورتها.

هو الفلاح الذي لم تغرُّه أضواء المدينة، بقدر ما أغوته سيقان نسائها وأجزاء صدورهن وأكتافهن العاريات، لقد أنارت أضواؤها أمامه كل دروب الغواية، بحزم تنبهه رئيسته في العمل إلى أخطائه، فيهمُّ أن يُذكِّرها"بشورته" الذي نسيه عندها ليلة أمس، لولا نظرتها المتوعدة التي تعيده إلى أرض الواقع،فُصِل ثلاثة أيام من العمل، كافية لإعادة ترتيب أفكاره، يركل خيباته أمامه في طريق عودته إلى المنزل، يُعلِّق عضوه على النافذة، بعد أن يُجهده في ممارسة عادته، لكنه لا ينام.

حاولت كثيرًا دون جدوى، أن أشرح لها أنه مجرد صائد ملذات...فقد رأيته لاهثًا، يصعد السلم المؤدي إلى شقة جارتنا الأرملة، يجمع أربع درجات في قفزة مستعجلًا لقاءً طالما حلم به... مجنون ظنه من رأوه وهو يبتسم، متخيلًا قبلات يرسمها على ظهرها وهو يفك حمالة صدرها.

قهقه وعلا صوته وهو يقول: أخيرًا!!! قبل أن يتنبه إلى دهشتي وأنا أسمعه، ثم تابع بصوتٍ أخفض أخيرًا سأقطع

الاسترنج عن مؤخرتها بأسناني "هو اسم قطعة اللانجري الوحيدة التي التقطها من بين تلك التي أدهشته في واجهات المحلات، ثم راح سرًا يتابع صورها في المجلات، في الأماكن التي دخلها للعمل مذ ودع الكيلوتات العريضة في قريته".

شهران وهو يحلم بجنسٍ مختلف، مع فتاة المدينة التي كان يراقبها من نافذة سكنه، يتابع تفاصيل جسدها، ويخطط لطريقة بالتواصل معها، قبل أن يهتدي للفكرة ويرشي بواب العمارة ليصبح رقم هاتفها لديه.

لقد دفعني الفضول يومها لمتابعته، جميلة بدت من تلك المسافة وصوتها يوحي بشباب يكفي ليواصل الحلم بها... يبدو أن ليالٍ من السهر والأحاديث جمعتهما، ثم ها هو يمسح عرقه بمنديله وهو يقف أمام بابها، اعترته نشوةٌ غريبة وهو يرن الجرس، قبل أن تفاجأه التجاعيد التي تسللت إلى وجهها، والشيب الذي غزا مفرق شعرها، ابتسم لها، وقبل أن يلتفت متراجعًا كانت ترسم حركات مثيرة على مؤخرته... استسلم لحركاتها وبدا أنه لا يقاوم شعورًا لم يجربه من قبل.

لا أعرف بداية تعارفها به...

الحب تلك الشائبة الحلوة التي تعصف بهدوء قلوبنا ولا

نريد التخلي عنها، أحست بالرعب، إنها لا تريد أن تعود إلى صفوف أولئك الذين لا يحبون ولا يحبون، لا تريد لقلبها أن يموت من شدة الظمأ، في أثناء بحثها عنه، وجدت ملذات أخرى أجلت تجربتها لانشغالها باستعادته، يشفيها بكاؤه وإن كان غباء.

"احرص على قلبك ممن يبيح لنفسه أن يموه الأعمال الشائنة ويطفف الفظائع التي يرتكبها بحقه"أمضت أسابيع من القلق قبل أن تتأكد من أنه مجرد مخادع، جاءها الخبر موثقًا من أكثر من مصدر، عندئذٍ لامستها نسمةٌ راحةٍ نقية فلم تعد تبكيه، ولم تتأمل كثيرًا فيما مضى.

لقد حولها تعرفه به إلى شخصية أخرى، وبهذا محت محاولته البائسة التغرير بها وخيبة الأمل به، لكنها احتفظت بذكرى حبيبها المزيف عميقًا، تسترجعها كلما تاقت نفسها للعب مع لوعات الغرام، ألمه زهور تتفتح طوال الوقت، ذاك القروي الذي أغوى الكثير من البنات، أقنعها أن الشيخوخة ليست بجريمة، لكن الخجل أن تُهدر حياتها عمدًا مثل بقية الكائنات، كسيدة بروعة الأربعين كان يرسم لها خطواتها، ليُخرجها من الموت الذي تعيشه نابضةً تضج بالحياة، آسرٌ إلى الحد الذي يُبقيه وحيدًا في مدى بصرها، يترك الأشياء تتهاوى أمام حضورها

لتكون معه سيدة الوجود، وهكذا صارت ترى كل أمسية مهدورة بدونه اعتداءً صارخًا على أنوثتها وحياتها، الوضع مثيرٌ للشفقة بقدر ما هو مثيرٌ للاشمئزاز تُرى لم يفعل كل هذا؟!

ينطلق كل يوم بصوتٍ سلسٍ منضبط الإيقاع واللحن، يغني نغماتٍ عذبةٍ هي السعادة للقلوب، يعانق روحًا ينفرد بالعزف لها برهةً من الزمن، ثم ما يلبث أن يتملكه القلق فيفتعل الخصام والغضب، فيما صوته يغني لروحٍ جديدة، مرارًا تمسك بالقلم تحاول تحرير رأسها مما يدور به من أفكار.

كان من الممكن أن ينتهي كل شيء، لو لم تمتلك الذكرى جنبات الحكاية، سماء هو الحب لمن لم يمتلك أجنحة، تركته يتغلغل في كتاباتها، أفكارها، بل وفي روحها، لم تكن تعلم خداع الثقافة في كلماته التي تعمدها ليوقعها في فخ الحب.

كفرعٍ جديدٍ وقفت أمام حبه حائرة، أرض جديدة أتضرب بها جذورها لتنمو أم سيتركها تذبل ويمضي راحلًا عنها؟ رنين القلوب يجعل القلوب تبتسم، مرآة جديدة أعادت لها وجهها الجميل بعد أن شوهته المرايا، وكتاب سحري تتغير كل يوم صفحاته فاق محتواه كل ما حصَّلته في المدارس، لم يعجبها الاقتصاد هذه المرة وبدا الثمن قليلًا راقتها المغامرة لن يضرها ما تفعل خلف الشاشة، وإن خالف حقيقتها وصورتها.

إعجابٌ حميمٌ، نظرةٌ لامعةٌ، عناية عاشقٍ تفيض بالحب، كتوهج الشمس في وادٍ مجردٍ من الظلال لا يحتمل الشك، أتاها حبه، لم يكبح نفسه وهو يتحدث إليها عن مغامراتٍ مثيرة، لحظاتٍ مدهشة، لمحاتٍ برَّاقة من قصصه معهن، كان واضح الخطى ثابت المسير، يدخل الحب واحد ويخرج منه واحد، حريص على ما ينتظر ابنه، ليس من السهل أن تكشف مغامراته والكل يهابه، ولو منح شهادة بما يفعل لكان شهريار زمانه... اختار أن يكون أسطورةً في بدايته، لكنه لا ينتظر ثمار النهاية.

كالشعر كان ينتقل من امرأة لأخرى، المرأة خمرته الثقيلة التي أدمن الاقتراب منها، ليجد رغم العسل مرارتها، قد يكون للحزن صنمًا يجثم على قلبه قليلًا بعد كل راحلة، لكنه لا يدوم كثيرًا، وسرعان ما يتفتت ليعود ترابًا تنثره القادمة.

ما بينهما لم يكن أبدًا حب، يبتسم ابتسامة كهل أمام عبث طفولي فيما يواصل تأمله لانفعالات قلبها "يا سعاد هانم أنا مش لعبة بإيدك مالك خص بي سيبي علا أختي وفاطمة صديقتي أما عن الارتباط فدي مسألة نصيب وملكيش دعوة لا بيا ولا بأختي نهائي ابعدي عني وحلي عن راس أختي ربنا يصلح حالنا وحالك يا بنت الناس"

من هي؟... ولماذا يناديني باسمها؟ أتراها جرحته؟ أحبته متى؟ وكيف كانت معه؟ أي نوع من الروابط جمعهما؟

يقطع تفكيرها رنين الهاتف تقرأ اسم المتصل وتتردد بالجواب إنه هو...

أأرد أم أتركه للانتظار يحرقه كما يفعل بي كل مرة؟ يلح في معاودة الاتصال، يشغلها ما قد جعله يفكر بها في مثل هذه الساعة، بتثاقل تجيب، ينكرها ويذكر الأخرى، تثور غاضبةً تشتمه و ينتهي كل شيء.

يرن الهاتف من جديد، تتأخر بالرد تعرف أنه هو المتصل، لا تريد مزيدًا من الشجار والجدل، بدأ مشوارنا جميلًا فلينته جميلًا كما بدأ (تقول في نفسها).

"بس بقى ولا كلمة...انتهى الكلام"يجيب هو كأنه كان يرد على أفكارها.

يعود رنين الهاتف يزعجها المتصل بإلحاحه تجيب...

- "مرحبا... أنا محمود أخبرني سامح بخلافكما".

- تضحك كثيرًا قبل أن تجيب، كلماته هذه لم تكن موجهةً لي، فأنا لا أعرفه ولم أعرف يومًا سعاد التي ناداني باسمها، لكن اتضح لي جدًا أن مغامراته النسائية كثيرةٌ جدًا، وربما معقدةٌ أيضًا،

أخبرته مرارًا أني اعتبرت كل ما تحدث به عن حياتنا معًا أحلامنا آمالنا دعابة حلوة وأني قبلتها....

- ما حدث كان مجرد سوء تفاهم.

- وقد أخبرته أني اعتبرته كلام ليل وأن ما بيننا صبحٌ جديد.

- يضحك محمود ويتساءل صبحٌ جديد؟!

- تجيبه أليس النهار يمحو ظلام الليل؟ و تتابع لم أطلب الكثير منه، طلبت فقط أن يساوي بيني وبين أخته أكان يرضى لها ما يطلبه مني؟

"ثيريني أنا دخلت بالسرير"أصمت يزعجه صمتي.

"أنت غريبة فعلًا هو أنا أقلك تعالي - أني...- ساكتة ليه...أكره النكد" كان يحلم وكنت أحدثه بكامل اليقظة وهذا ما ينغصني...

- تصمت ويتردد محمود يستأذنها بأن يكلمه.

- (لم يعد يعنيني أمره) بعد الذي بلغنا من كراهيتنا لبعضنا أو ربما لأنفسنا فليمض كل منا كما بدأ.

تختم الحديث مع محمود، وبنفس الكلمات تختم حكايتها معه، وهي تفكر بكلماته"أما عن الارتباط فهي مسألة نصيب

"صائد متعٍ هو وعرض الزواج المُغري الذي يتقدم به كفيل بمنحه ما يُطيِّب به خاطره" أتمنى أن تثيريني... أحلم... أتخيل... أُفرِح نفسي... أسرح فيكِ... أحسكِ معي... أحس أني معكِ... أُسلمكِ روحي... تُدلِّعيني... نفسي أقضي الليلة بحضنكِ" هذا هو كل شيء بالنسبة له يقضي الليلة ثم يمضي إلى حياته لا يعرف أبدًا قلق الروح.

لونا

الدرج مهمل كما لو أن أحدًا لا يمر عليه، لون معتم غشا البيت، ورائحة أثاث عتيق فاحت عندما فتح الباب، لم أعتد هذا من قبل فأنا صديق قديم للعائلة ومن أشد المعجبين بلونا ...

- أتيت من أجل السيدة.
- المعالج النفسي؟ (فهمت أن هذا ما قيل عني للخادمة)
- حبذا لو توصِّليني إليها.
- أهلًا وسهلًا.

تقدَّم نحو نهاية الممر حيث الموسيقى، في الصالة عند الواجهة الزجاجية، تتأمل من خلف ستارة نصف مفتوحة أشجار الحديقة التي نمت فروعها نحو شرفتها، لا أعلم إن كانت قد راقتها الليمونات الصفر الناضجات التي تُزينها، فلا أحد يعرف فيم تفكر تمضي ساعات النهار كلها على هذه الحال، منذ عودتها ثرثرت الخادمة بكل هذا وهي تقودني إليها، شعرٌ قصيرٌ جميل بلون طبيعي غير مصبوغ، تجاعيد ارتسمت قبل أوانها لكن بوضوح، وحزنٌ عميقٌ في العينين، رأيته رغم الابتسامة التي استقبلتني بها.

وإلى جوارها زهور يابسة في المزهرية، مغلفات كثيرة لرسائل من الواضح أنها وضعت لتعيد قراءتها، موسيقى عذبة هادئة، وفنجان جفَّت فيه القهوة عصي على القراءة، باختصار ركنٌ يعبق برائحة الذكريات، تقدمت إليها محييًا أشارت عليَّ بالجلوس...

حاولت بدء أي حديث، ذكرت شيئًا عن مكانٍ مشابهٍ مر في ذاكرتي وأسررت بنفسي (لكنه يضج بالحياة)، اقتربت من المزهرية لأفسح مكانًا لزهوري التي أحضرتها، غضبت وانتفضت، فزعت قطتها التي كانت تغفو عند قدميها وقفزت، أمسكت بساعدي وهزته"لا تعبث بذكرياتي"وانطلقنا من هنا كبداية.

- هذه آخر باقةٍ أهداها لي قبل أن يغادر...
- وهذه رسائله؟
- كل ما تبقى منه.
- تقرأينها؟
- .....

وأطلقت تنهيدة عميقة، أدركت كم عانت من ثقلها في صدرها، وتلمست صعوبة أن نتوصل إلى حل، عادت القطة إلى حضنها، مسدت شعرها وتابعت حديثها إليَّ.

كادت الأمور بيني وبينه أن تصل بنا إلى السعادة، احتاج كلٌّ منا أن يفكر بهدوء، اخترت البحر صديقًا اتخذت نزلًا قريبًا منه ورحت أبوح له كل مساء...جميلٌ أن تجد من يقاسمك همومك رغم البعد، في الفرح من السهل جدًا أن تجد من يشاركك فيه فهذا الكل يستطيعه، أما الحزن فلا يحمله معك إلا صديقٌ صادقٌ أو حبيب، قريبًا كما البحر ومثله كان، في عمقه هدوئه غموضه وأيضًا في تقلبه، ثم صمتت وأشاحت بوجهها...

أعتقد أنه قد صار الوقت الآن لي أنا لوصف لونا، ولعل أجمل ملامحها ابتسامتها، صادقةٌ صافية ودافئة، تظهر لأدنى سبب، وهذا ما جعلها تفوق الكثير من النساء جمالًا، شعرٌ بلون الكستناء قصيرٌ جدًا، تعلن به تحررها، عينان عسليتان فيهما بريقٍ وذكاءٍ نادر ووجهٌ مكتنزٌ يشي بطفولة لم تنته بعد، وغمازاتان كما الدواء حين تظهران، صوتٌ هادئٌ فيه الغنج والدلال، ولربما يمكن اعتبارها طويلة، لكنها بحاجة لعدة كيلو غرامات لتصبح أشد فتنة، لكنها رغم ذلك جميلة بما يكفي لتكون مثيرة.

لا أعرف أي نوع من النقاء بلونا مبتسمةٌ دائمًا حتى حين تتكلم، تنزعج كثيرًا من الصمت، من الواضح جدًا أن الصمت يقلقها، بل يدفعها إلى الجنون دفعًا، أحببت معها اختبارات

الصمت، لكن خشية كشف المزيد من جنونها، قطعت الصمت بابتسامةٍ خفيفةٍ، حينئذٍ خطر لي أن الموسيقى قد تكون فكرةً مناسبة لتهدئتها، مع لونا يكفي أن تجرب الموسيقى أي موسيقى كفيلة بتنشيط مشاعر الفرح لديها وخلق أجواءٍ جديدةٍ من المرح ومن هنا بدأت.

لا بأس أعود إلى لونا، بسهولة يمكن أن أستدل على مكانها من صوت الموسيقى المنبعثة في ذاك المكان، إنها إن لم تجد الموسيقى فستعامل ضوضاء الشارع كلحن جديد... لا أذكر أنها تذمرت يومًا، إلا لفقد عزيزٍ أو لغياب، حينها كنت أُذكرها بحبيبها الأبدي الذي لا يعرف الغياب، تحدثنا كثيرًا... عن المكتبات، الفن، المنحوتات، وكثيرًا جدًا عن الكتب، فقد كانت تستهويها الكتب وتعشق القراءة، أو كما كانت تحب أن تقول هي كانت"دودة قراءة"، لا تسمع بكتابٍ إلا وسارعت إلى اقتنائه وقراءته، وعلى الرغم من هذا هي أكثر المخلوقات عصبيةً حين يتعلق الحديث ب"هاني"، الشاب الذي أحبته بصدقٍ وإخلاص لكنه تركها ومضى.

مرهقةٌ ومشتتةٌ انتظرتني لونا ريثما أنهيت ما بين يدي لتبدأ الحديث...

هاني هو أكثر من أحببت، انتظرته طويلًا ولم يعد، كنت أعتقد أن حياتي بدونه لا معنى لها وأنها بدونه قد تنتهي، حاولت كثيرًا أن أنساه، أن أمحو صوره من ذاكرتي لكنني لم أنجح، كأنما كان حبه يحاول خنق كل حب جديد في حياتي، تعاودني ضحكاته، صوره، كلماته، متداخلة كلها بشكل جنوني وعشوائي، إنه يشغل حيزًا كبيرًا من تفكيري، البقية كانوا يمرون لكنهم بلا أثر يرحلون، وحده كنت أجده بيني وبين حبيبي، وأنا أناجيه، وأنا أعتذر له عن بعدي وتقصيري يأخذني من بين يديه عنوة ويلقي بي في غياهب جبٍ عميق.

من الصعب العثور على بقعة في جسدي لم تمر عليها يدا هاني العابثتان، معاندةً كل شيءٍ كنت أصدق حبه، مأخوذةً بسحر كلماته كنت مستسلمةً له، حتى لم أعد أجد طائلًا من الابتعاد عنه، كنت أجده بيني وبين نفسي، في سريري، مرآتي، وحتى في حمامي، كنت أظن أني لن أبرأ يومًا منه، ولن أستطيع أبدًا التخلي عنه، أحتاجه، أحتاج لحظات جنوني معه، لكني مجرد قصة حب عابرة بالنسبة له...

مع حبيبي بدأت أتعافى منه وهذه أولى هدايا حبيبي، هكذا تحدثت عنه لونا، لم أتحدث كثيرًا كنت أنتظر أن أسمع منها ما طرأ على الأوضاع...

لارا وهاني يخنقها التفكير بهما... وبطبيعة الحال كانت تؤلمني دموعها التي هطلت سخيةً، استمر حديثنا على هذا المنوال وقتًا طويلًا، هي تحكي وأنا أستمع بصمت، كنت أريدها أن تُفصح عن كل ما تشعر به، أن تتخلص منها كلها وأنا معها، كنت أسمعها وفي داخلي أبكي و أبكي و أبكي لأني أفكر بها... موجعٌ حقًا أن أفكر بها وهي تفكر به على هذا النحو، بدت عجيبة وغير مفهومة، وكانت انفعالاتها غير مبررة واستفزازية، لو كنت عرفت تعلقها به إلى هذا الحد من قبل، على الأقل لما كنت قامرت، واخترت طريقًا كان عليَّ فيه أن أحقق المعجزات.

كانت علاقة مغرقة بالخيال، وكانت مع هذا تثير أكثر عواطفها حسيةً (الدموع)، كانت رسائله شديدة العاطفية، تشي بوضوح بعمق حبه لهذا لم يرغب في العودة لها، كما لم يعد يفكر برؤيتها ثانيةً، لقد انتابه عندما قطعها شعور مذهل بالتحرر، هو يفكر فقط كيف ينطلق ومن أين يبدأ، يعشق وحدته التي تثير اهتمام كثير من النساء و إعجابهن به، فصار يدعي تشاغله بالبحث في تاريخ الأديان وكان نجاحه فيه يُدعِمه، كما نجاحه في عمله.

أرهقت قلبها وهي تعمل كل شيء لأجل سعادته وبهجته، فيما كان مشغولًا بجماله وصفائه وكل الصفات التي تؤكد معناه،

لقد أسرف في الاعتقاد بسر الحياة الأعظم... أن النساء لا يبحثن عن الرجل الأوسم بل عمن عاشر الحسناوات... لقد أحبها كما يحب المثقفون، وأراد لعلاقته بها أن تنتهي كعلاقة نحات بتمثاله أو كاتب بروايته، فيما كانت تصر أن تبقى بطلة كل رواية له ومحور كل بحث، وها هي في نضالها ضد النسيان تستعيد ذكراه كصورة كاريكاتورية، مدركة أن التخفي هو شعور بالذنب، وهو بداية الهزيمة، فلم تعد تأسف كثيرًا عليه، بل كانت تعزي نفسها بتذكر وجهه الدميم، وكانت على ثقة من أنه لا ينساها رغم ما يصلها من أخبار نجاحاته فيطيب خاطرها.

سألتها فجأة أتثقين بي؟... أومأت برأسها.

اكتبي... كل ما عليك أن تكتبي، أن تستغلي كل موهبة لديك، لتخرجي ما فيك من طاقة للتحرر من هذا الحب، وحده حب والدها مغروس بقلبها كما الياسمين، لم يعرف الانهزام يومًا، عاد بيديه الطويلتين لينتشلها من عمق اليأس، ويوقد في صدرها سراج الأمل، ويفيض بنوره ليضيء عتمة لياليها.

ذكرتها بوالدها الذي استبشر بها كأنثى، على خلاف ما درج عليه مجتمعه، الذي أخذها معه لتسبح في النهر، الذي قص عليها حكايا الأميرات وعلمها أن الكذب جريمة لا تغتفر، الذي كان يرى النساء المجبولات على العطاء كالأرض الخصبة ولأنه يرى

التي ربته امرأة عظيمة قدَّس إكرامًا لها كل أنثى ولم يعبث يومًا بقلب امرأة.

قاطعتني بنبرة حزينة أتذكر أبي؟ أنت تشبه أبي وأنا الآن أشتاق أبي، كان صلبًا قويًا وكان حكيمًا، كان دائمًا يقول: "لكل منا رسالةٌ، ولن يموت قبل أن يؤدي رسالته".

حينئذٍ خطر ببالي شيءٌ قلت قد يفيد، تركت المقعد وأخذت بيدها إلى النافذة المطلة على الحديقة الخلفية للبناء، رفعت الستائر، أعلم استحالة أن ينال المنظر رضاها، لا ألوان ولا نور ولا أية ملامح لترتيب أو نظافة، صمتت خشية كشف ما هو أسوأ... بادرتها كذلك حال قلبك، وحده حب الله فيه النجاة لك.

بابتسامةٍ خفيفة ردَّت عليَّ، وبرقةٍ تمتمت لا إله إلا الله وحده... كان التسبيح أشبه بالموسيقى بين شفتيها، وعوضًا عن الاستئذان جلست من جديد محدقًا فيها، لا أعرف كم أمضيت من الوقت كذلك، ولم يبدُ لي أني أزعجها بوجودي وهي تناجي حبيبها.

فتحت نافذة قلبها للنور، فأضاء كل الألوان التي كانت قبل قليل منطفئة، و لمع في عينيها بريقُ شيءٍ جديد.

كنت أراقبها وهي تزيح ظلاله التي أغرقت قلبها في العتمة، وأرى درجات الضوء تختلف فيه حتى بات النور مبهرًا، شعرت

بنشاط الهواء حين رأيت تبدل كل ما فيها، لم يعد يعنيني شيءٌ وقد وصلت إلى التردد الموافق لموجات قلبها، رأيت شعرها وهو بالعرق يتبلل، وبدون أن أصدر ما يقطع سكينتها أو أتحدث، غادرت الغرفة بصمت.

في المساء عاودني الحنين إلى لونا، رغم أن الوقت الذي فصلنا كان قصيرًا جدًا، وضعت المؤشر عند صفحة الكتاب الذي كنت أقرأه، وعدت إليها، أحست بالاستغراب وتساءلت...

طلبت إليها أن تُحدثني عن عودتها مجددًا إلى الحياة، عن رحلتها مع الله، كنت أريد من يشاركني في مخاوفي من غضبه عندما أتكلم عن ذكريات ومشاعر الماضي، عن عذابات قلبي وموته عن الأحاسيس التي بدأت معه تولد من جديد.

كانت امرأةٌ مختلفة في كل شيء، تحمل المعاني على كلمات مميزة لتجعل لها وقع مختلف، مدهشٌ كل ما فيها، لم يكن هناك من يمكن أن يفهم أفكارها، أو أن يجاريها، حتى مشاعرها تفيض بطريقةٍ يعجز الآخرون عن إدراك أسبابها أو أبعادها، أو حتى من أين تأتي.

كل ما فيها يحرك الفكر والمشاعر، ويتحدى الرجال والنساء أن يتحملوها، أو حتى يجاروها في قوتها، فيحرك ذلك غيرتهم

ويقض مضجعهم، هذا يفسر كثرة المغرمين بها وكثرة ما عانت من مغامرات الإعجاب والانجذاب وما كانت تظنه الحب.

كانت كمن تتحدث عن قوةٍ خفية، ساحرٍ يشدها بسحره، يتلاعب بأحوالها، تكلمه فينسكب سحره بداخلها، كانت تنتظر صوته لتطمئن يطول بها الصمت وهي تنصت، جميلةٌ هي في صمتها. فجأةً بدأت تبكي، لم أمنعها، كنت أراقب جمالها، نادرٌ أن تجد مثلها، جميلةٌ حتى في الحزن.

ذكرتها بأنه يحبها أضعاف ما تحبه، و أن لديه أضعاف قدرتها على الحب.

كانت معه تريد السلام، رحلة التغير الحقيقي هل بدأت أم أنها تبدأها الآن؟ استبعدت كل السلبيات من حياتها، وتخيلت نفسها بالمكان الذي تحب، أغمضت عينيها واستحضرت أجمل لحظات عمرها، كانت تحاول أن تجده، للأسف هي بقوتها النادرة وشخصيتها البناءة، لم تعرف إلا سعادةً وحيدة اسمها هاني.

كل ما هو جميل فيها استغله ضدها، واستقوى به عليها، وبالرغم من هذا لم تتغير، لأنه رغم كل شيء كان أكبر حب في حياتها، ولأنه تعمد ألا يعاملها بقسوة، كان يعتذر لها بلباقة، ويذكرها بمكانتها وبقائها في قلبه كذكرى جميلة، لكنه لا يستطيع أن يكون لها.

الآن أعرف تمامًا أن حبي لها منزهٌ عن أي غرض شخصي، هو حب من تريد أن تدله إلى الطريق، وكنت ملزمًا بإكرامها وتقديرها ومعاملتها على النحو الذي تستحق، وبما تحتاجه من حنان وحب، هي الآن من روح الله... هكذا فقط صرت أراها، وكانت هذه نقطة خطيرة لأنني كنت بأغرب وضع وأغرب مشاعر، كانت تجذبني لأنها مختلفة عن كل النساء لكني لا أحبها كما تُحب النساء.

كنت أراها من خلال قيمتها العالية كإنسانة، وهنا كان التحدي الأكبر، كان من واجبي أن أزرع حب الله في قلبها، ليكون هو الأكبر، فلا يكون لغيره نصيبًا في قلبها، وأن يكون حبها لي هو مجرد شكر وامتنان لله، لأني أحد أدواته أرسلها لها، لتعافيها من الألم والماضي من الاحتياج لهاني، لتنقذها من استهتارها بقيمة نفسها وفنها وأدبها، لأعرفها بالخير العظيم بأعلى درجات الإنسانية، لأخلصها من كل ما فيها من فضول العلماء وحساسية الفنانين وطفولة المبدعين، كان علي أن أنقل لها بوعي، أن هاني ليس إلا شاب طائش تافه يبحث عن الملذات السريعة وأن الله يمهله ليتوب، وأن أعيدها لأجمل ما كان فيها أن تسامح وتنسى.

أردت منها أن تتعلم أن حب الله كشجرة التوت، ثماره حلوة

وكلما ازداد عمرًا ضربت جذوره في القلب أكثر، لكني لفرط حبي لها كنت أفعل مثلها، أتظاهر بالنسيان وأدور حولها، ثم على سبيل التحبب أنادي اسمها، وعلى نحو من البراءة تقترب فأضمها، ليتني عرفتها قبل أن تتعرف لأي أحد، بدأت ترسل لي تباعًا كتاباتها، كنت منبهرًا بروعة وعمق معانيها، صارت عندي ككاتبة أغلى من أن تقدر بثمن.

حدثتني عن عبد الله، كان هو الآخر يرى فيها مشروع كاتبة مبدعة، من هنا كانت البداية، ثم راح يتودد إليها، كانت ترفض خلط مشاعرها بأحاديث الكتابة، ولأن الشك بعلاقته بها بدأ يساورها، قررت البعد، إنها بدافع من نقائها تمنح ثقتها بسرعة لمحدثيها، وقد يسهل خداعها من قبل البعض، كانت كزهرة رقيقة والكل يحاول تلمسها، لكنها أخيرًا التفتت إلى نفسها ولولا هذا لتفتَّتُّ.

لم أفهم كيف هربت من منزلها، وذهبت مجددًا إلى هاني، لم يستقبلها كما تمنت، أمضت أسبوعًا عنده وهو يتجاهلها تمامًا، لم يعرفها بأهله، ولم يعرفهم بها فعادت، بغضبٍ استقبلتها أمها، وحبسها أبوها في غرفتها، لتمضي باكيةً أيامًا بلياليها، مرَّ هاني مع صديق لهما، حياها من النافذة ثم دخل بيت أهلها ليأخذها معه في

عرس خيالي، زرع الممر إلى صالة العرس بباقات الورد، وأحاط بها ساحة الرقص التي أخذها إليها، ثم كما البرق انتقل بها إلى فيلا عمَّراها معًا، كل تلك التفاصيل الجميلة عاشتها معه في ثواني، هذا كل ما استطاعته في حلم.

كانت تحدثني عنه وأنا غارق في الذهول، كنت أتصور أنها أدركت أنه مجرد طفل يلهو، وأنه لم يعرف بعد معنى أن يحب الرجل، كانت تظن أنه يلعب معها الغميضة فلطالما لعباها معًا ولم تكن تجيد الاختباء، كانت ضحكتها تفضحها بمجرد أن تدنو خطواته منها، أما هو فكان دائمًا كما هو الآن يتقن جيدًا مهارات التخفي والاختباء، أخيرًا اختفت مزاياها كلها الموهبة والذكاء والجمال والقوة والهمة، وجلست أمام المرآة تتأمل تفاصيل غيابه في وجهها، كانت عيناها تقول لا تأملي في حبه، لا تحلمي... لا ترقبيه، وبدمعة مكسورة أمسكت المقص وقصت شعرها قصيرًا جدًا، لم يكن هذا رغبةً منها بتسريحة جديدة، لكنها أرادت قص الوجع الذي تهزه، كلما لامست شعرها بأصابعها كما كان بأصابعه يفعل كل ليلة.

اتصلت بي...هذه المرة أخبرتني عن جوني...كان يحكي معها على فترات ثم يتراجع...هنا تسمع لحنًا مختلفًا جميلًا

وقصيرًا، يحكي عن الشعر والموسيقى، في الحقيقة هو لا يحكي هو يعزف، اعترف لي باستلطافه لم يكن استلطافًا كان عميقًا حتى لكأنه حب... هكذا تحدثت عنه تركتها على طبيعتها لتتحدث وأنا بصبر أنصت، أنتظر نهايةً تليق بلونا، بعض الأصدقاء يفرض أخطاءه ويطالبك بالتأقلم معها ولونا كذلك.

لونا لم تعد مجرد حالة علاجية، صارت أكثر من صديقة، تغاضيت لها عن أشياء عدة لكنها بالغت في حديثها عنه وكان مما سمعت أنه قال لها: "جميلٌ أن نرى تلبك امرأةٍ بأفكارها" أزعجني حضوره المتسلط في حياتها، وكان يجب أن أتصرف لكني لم أملك الحق في أن أتصرف إنها حياتها هي وحدها، استسلمت ثانيةً لوقع كلماتها تحدثني عنه...لونا وجوني من طبيعة متشابهة وإن اختلف جنساهما وديانتاهما، كان يقول لها كما قال ايكزوبيري: "نحن كطائر اللقلق ولدنا بأجنحة أضخم من أجسامنا" وكانت تقول لكنها تناسب أحلامنا فيقول: "تزيد التعاسة بقدر اتساع خيالنا" لم تكن تريد أن تغوص عميقًا مع كلماته...

لم يشعر يومًا بحاجز يمنعها منه أستأذنها مرة أن يتغزل بعينيها بكلمات "أنسي الحاج" "صن يا شرر الفجر ليل عينيها لي" ضحكت كانت دائمًا تؤنسها كلماته قريبان كانا كأنما أخوين بل

أكثر...سألته أن يحكي لها كعادته عن الكتابة عن الموسيقى وعن الشعر أو كما كانت تطلب بالحرف اعزف لي... فسألها أن تحكي عن السجن... أجابت: السجن أن تعطي قلبك لشخص واحد.

سألها أن تصف له السجن من الداخل... قالت: ثمة سجن أفكر أن أدخله وأعدك ألا أطلب الخروج منه أبدًا، أتراك تعرفه؟

صفيه بدقة أكثر...

ترددت قليلاً ثم قالت: خلف قضبان قفص صدرك أريد أن يكون سجني وأتمنى أن يضيع بعدها المفتاح...

فاجأها استنكاره"تسرعك يحجب تفكيرك...أريد وصفًا لسجن حقيقي" كنت أعلم مالم تعلمه ولم أستطع منذ البداية أن أخبرها به ولم يبد أنه يزعجها (أنه ينظر لها ككاتبة فقط) تابعت متجاهلة ما كان من دموعٍ مسكوبةٍ في داخلها...

موقفها جعلني أتألم كثيرًا... ماذا لو جنبتها إحساس كهذا؟ هل كانت لتقتنع لو حذرتها؟

مع علي من قبل أيضًا كانت تتبادل أسماء شعراء كانت تراهم يستحقون المتابعة، أزعجه أن اسمه لم يتصدر القائمة فقرر الخصام، لم تجد طريقة معه للخروج بحل مناسب، كانت تخبرني بذلك كله كأنها تريد رأيي وكنت مندهشًا من استمرارها، من

قدرتها على تحمل الضغط والتعب، لكني آمنت دائمًا أنها ذكية وإن كان عنادها يؤخر استجابتها، إلا أنها في النهاية تستجيب للمنطق وتعرف كيف تطوي بسرعة صفحة الماضي ولكم أسعدني أنها أخيرًا فعلت.

علاقتي أنا"المعالج"بلونا كعلاقة أي فنان بعمله يتركه بمجرد أن يراه قد اكتمل...وقد تركتها فعلاً، لكنها هذه المرة لم تظهر أي شكوى أو تأسي، فقد تركتها بقلب ثابت يعرف كيف يواجه الحياة.

ثمة ما يستحق

قال أنه قادم وفيما كانت تنتظر وصوله أرسل برسالة، اصفر وجهها عندما قرأت كلماته... حاولت تمالك نفسها كي لا تبدي شيئًا لأمها، مع أن يديها كانت ترتعشان بشدة وهي تناولها جهاز التحكم، نظرت أمها بعينين مليئتين بالحنان إلى يديها، كان التوتر واضحًا إلى الحد الذي دفع أمها للسؤال"ألن يأتي؟".

قبل أيام كادت تطير من الفرح"إنه قادم سيقيم عندنا بالتأكيد، لا أقرباء له هنا سوانا".

هل سيقيم عندنا؟ سألت أمها...

أعتقد أنك لن تمانعي، تعلمين أنه يأتي لأجلي.

آآآآ...اكتفت الأم بهذا وصمتت.

كان الموعد بعد شهر، وهو قادم لخطبتها، كانت تتخيله على الطائرة، ينظر من بين الغيوم، لقد أخبرها الكثير في رسائله عن شوقه لهذا اللقاء، عن انتظاره له بفارغ الصبر، وكانت هي تخبره عن سعادتها عن انتظاره، وتصف أهمية أن يأتي، إنه قادم هذا كل ما كانت تفكر به، كم هي سعيدة، منذ اليوم ما عادت عينها ترى شيئًا.

جاهدة تحاول إخفاء انفعالها، خاصة بعد أن قالت لها أمها إنك لا تعرفينه وإن خُيِّل إليكِ أن ما بينكما معرفة، نظرت إلى أمها مبتسمةً، لم تحاول أن تفهم ما تقوله أمها، هي تدرك العصبية الناجمة عن غيرة أمها عليها، لو قالت أمها الكلام نفسه عن شخص آخر في مناسبة أخرى لجعلتها أشد غضبًا، لكنها اليوم لم تعر للأمر أية أهمية، ما كان غير قدومه يعنيها، وعلى أجراس فرحتها أخذت تعد زينتها لهذا اليوم، لم تظهر انزعاجًا لكلام أمها، تحدثت معها بأشياء كثيرةٍ أخرى، أشياء غير ذات أهمية كاتمتين ما في قلبيهما من مشاعر.

أتراه يفكر بها بنفس الانفعال ونفس المتعة، طفلة مشاكسة رقيقة واسعة الاطلاع، تتوق مندفعة بكل مشاعرها نحوه لأن تصبح زوجة له وسيدة مجتمع، إنها تتوق للظهور معه، بسمرته باتساع عينيه ونظراته الساحرة، التي تجعل كل النساء يعجبن به ويملن إليه... ما الجدوى من كل هذا الكلام، لا تزال ترتعش كلما تذكرت ذلك اليوم، ضجيجٌ وفوضى مشاعر، كانت تشعر بانفعالٍ شديد وهي تتذكر حديثه عنها: "أنتِ امرأة بقمة الكمال".

كلماته أوحت بأنه كان شديد الإعجاب بها، حتى ظنت أنها على صواب بما ترغب، كان منفعلاً وصف شعوره بشكل جميل،

حسبت أنها أصبحت تشغل ركنًا مهمًا في حياته، فاجأها طلبه بأن تثيره أكثر بمحاسنها، تبدلت تغيرت كان ذلك اليوم الأشد حزنًا في حياتها، لم تجب أمها مؤرجحة بين العذاب والحزن دون شكوى، ربما كانت ستنسى كل شيء مع مرور الوقت، كلا ما كانت لتنسى شعرت برغبة بالضحك والبكاء بآن معًا، أحبته بقلب شاب معطاء كان آتيًا لا ريب لكن الشهور تمر دون أن يصلها منه أي خبر.

لقد كانت حقًا عاطفية...هي الأمور مختلطة هنا، الناس لا يرونه، لذلك فعواطفه تنتقل بين جميلات متصفحة ليلًا ونهارًا.

بعد ظهر يومٍ حار توقفت عند مفترق طرق، نوافذ تسبب في الرأس دوارًا، تطلُ منها ذكرياتٌ تمر بلا انقطاع، تمر تاركةً على الزجاج دموعًا وبقايا نزف، أحاول جاهدة مسح تلك البقايا، ليته لم يرني، "مجرد استعراض" هكذا كان حديثه معي، بصقت على ذكراه، لم يخفف ذلك من غلواء قهري، الغضب يغمرني حتى أخمص قدمي، غضبي من الرجال، خاصةً أولئك الذين لا يحبون سوى أنفسهم.

حشد غفير من متبلدي المشاعر بهتافات ثقافية ورموز وشعارات مدنية يمرون بكثافة، كان لدي بصيص أملٍ به، لم أره

يومًا يتجول وحيدًا، لا يحب الملابس الرسمية، ساعته، هاتفه، والأساور التي تلف معصمه، رفضه القاطع لربطات العنق، لم أصادف من قبل أحدًا مثله، أو لم نتصادف، كلانا كان ذاهب للصيد.

التقيته وحوله نساءٌ كثيرات، من جنسيات مختلفة، نساءٌ مع أطفال وأخريات بلا أطفال، البعض يغطين شعرهن وأخريات يطلقنه كما تفعل الغجريات، وهو يتنقل بينهن بمنتهى النشوة، لا أعرف أي نوع من النشوة يجد بحضورهن بتلك الكثافة، ليت المطر ينزل فيغسل تلك النافذة، لم أجد مكانًا لأنتظر معهن، تنحيت جانبًا لكنه انتبه لنظراتي المسروقة إليه، جميلتان على الرصيف تنتظران مثلي، اقتربتا منه أشار بيديه لتتباعدا توسطتهما بلطف، حدقتا باندهاش.

لم تحد كل منهما نظراتها عني، بدأت بتحريك خصلات شعري، فابتعدتا قليلًا، قال: "دعينا نمش"، لامست جبيني نجوم السماء، لقد لقنتهم درسًا، انفردت بالسعادة، ومضيت معه إلى حيث أراد، أناسٌ قادمون وذاهبون، واجهاتٌ زجاجيةٌ براقة، أبنيةٌ عالية، أعدادٌ كبيرةٌ من أشياء كثيرة، هل كانت تلك اللحظة مناسبة لإطلاق عواطفي؟

كل الذنب يعود على خصلات شعري، لولاها لما عرضت

عـواطفي عليـه، لـو لـم تفـرق النـساء عنـه، لمـا اسـتطعت، شـرعنا بالـسير صـعودًا حتـى القمـة... لـو أن كارثـةً حالـت دون متابعتنـا المسير، وقفت أمي مرحبةً خلف الباب، ببلهٍ أخذ يحدق في، ثم اختفى على عجلٍ.

أفكر بنظرة أمي، ثابتةٌ لا زالت الأرض تحت قدمي، أجلس علـى طـرف سـريري أمـشط خـصلات شـعري وأعيـد ترتيـب عواطفي، أما هو، فكعادته كل يوم اختبأ في الحمام لتختلط رغباته بمجـاري المدينـة، أصـرت أمهـا بعـدها أن تنتقـل إلـى الـسكن الـداخلي للبنـات لتـتم دراسـتها عندئـذٍ وجـدت متعـة حقيقيـة في اللجوء إلى الكتابة.

أنا أحكي لأنها هنا تروي تفاصيل كل ما حدث.

كتبت كما أفعـل كـل يـوم منـذ مجيئي إلـى هـذا الـسكن...في المدرسة تعلمت الإنشاء...وعلى أية حال فالإنشاء كان ولا يـزال هوايتي، هوايتي التي أمارسها بالخفـاء وكـأنني أمـارس محظـورًا، كثيـرًا مـا كتبـت، فقـد كنـت خـصبة الخيـال، مهووسـة منـذ الـصغر بنسج الحكايات التـي تقتـضيها المواقـف، كنـت أكتـب وأتـردد في اطلاع أحد على كتاباتي لأنني لا أتوقع إلا السخرية واللامبـالاة في بيئة لا تشجع هذا اللون من الكتابة أو ذاك اللون من القراءة.

سامي خبر ذلك أكثر من أي أحد آخر، هو القارئ الكبير الذي يبهر من يلاقيهم باطلاعه وسعة تحصيله، من وسط ريفي ربما هذا ما جعلني أخمن أن يكون صادقًا وبريئًا – كان الوحيد الذي تلقيت خطابه بلا شك، وهكذا من دون أن أطَّلع على نواياه، ملت إلى تصديقه، وصرت أكن له محبةً مبهمة.

توجهت إليه بكل كتاباتي وقراءاتي، كنت أعد نفسي للحديث معه تمامًا كما أعدها عندما أشرع بالكتابة حريصةً ألا أستعمل إلا اللسان الحق، كنت أُمني نفسي بالكتابة بينما كان يعيشها، أرغب بتأليف كتب وهو يتحدث كالكتب، كان رائعًا حتى في انحرافه ومبالغته، أثار دهشتي وإعجابي، خلاصة الأمر كان هناك مجنونٌ واحد، فإذا هما اثنان، مع فارقٍ بسيط أنه كان يبحث عن مغامرته الأولى التي يحرص ألا يلحظها أحد.

أن تقتحم مجال الأدب لابد أن يكون لك تاريخ، ما كنت قد توصلت إليه من فهم هذه العبارة هو الانتماء إلى أسرةٍ أدبية متسلسلة، أما الحقيقة فلم تكن كذلك تمامًا، لا أنكر الارتياح الذي وفرته لي مواقع التواصل الاجتماعي خاصةً الفيسبوك، الخطأ الوحيد الذي ارتكبته هو بحثي عن معلم، ولعله خطأي الأكبر، أردت الاطمئنان أكثر أن ما أكتبه وأنشره تحت رقابة المعلم الذي تعودت وجوده الدائم في حياتي.

الفيسبوك هو الباب السري الذي تسلل منه سامي إلى كتاباتي، كما تسلل إلى حياتي، وبقدر ما كان بعيدًا عن أهله وذويه ادعى القرب مني، ثم بدأ ينزعج من حرارة التواصل، وزاد تذمره مني خاصةً عندما سكنه تأثير فكرة خرقاء في أن أقيم جنتي معه، وكانت نغم جنته...لم يكن يعرف ما قد تعنيه عندي جنتي لهذا اخترت أن أكون بعيدة عن القريب قريبة من البعيد مظهرة وفاءً ندر.

كانت الرغبة تخامرني لاستئناف العمل، للكتابة من جديد لكن بعده لا أكتب، لا أستمتع براحة، وكثيرًا ما يعاودني السؤال هل بوسع المرء حقًا أن يتحرر من ماضيه؟ أيكون بوسع المرء أن ينسى؟ أنا أجرب أو على الأقل أتظاهر بذلك وقد عدت للكتابة وهذا هو المهم في نهاية الأمر.

وجدتني أكتب له

سامي العزيز

"خوفي خلعته على حافة النهر، وقلبي تحول لكومة من الأحجار، وضعت كأساس لأسوار العائلة...الحياة، يجب أن لا تؤخذ على محمل الجدية أبدًا...ابتسم إذا ما خطرت على بالي لحظةُ حنين، ثم انفض ذاكرتي وقلبي سريعًا، أُبعثر ملامحكَ بعيدًا، لأنني أُدركُ جيدًا أنكَ لست لي، وأن الطريق أمامنا موصد.

أحتاج لوقتٍ مستقطع، فقط القليل من الوقت، أرتب ما هو متبعثر داخلي، أرمم بعض الجروح النازفة هنا وهناك، أغسل بعض الهموم عن ملامحي، وأرتدي قناع اللامبالاة من جديد، هكذا أجمع أسلحتي التي تبُقيني على قيد الأمل...ها أنا أستجمع قواي وأَعود فانتظريني يا حياة... ثمة من يرحل... ولا يرحل أبدًا...

يستخدمونك كي يسدوا حاجة الفراغ بك، يأتون إليك بعدما تخلى الغائبون عنهم، يبحثون فيك عن ملجأ يبيتون فيه، ثم يتركوك وحيدًا أشد من قبل... أتذكر وعود البقاء، وعود كنا نرددها بشغف وحب سويًا (وعود مطمئنة) وها أنذا اليوم شريدة الوجدان، تائهة وضائعة، كأنني ريشة وحيدة خائرة، تتهاوى ببطء على الطريق (ما بال الوعود خابت)... مللت ذاك الوهم الذي أوقعت نفسي في شراكه، مللت أن أقنع نفسي أنني محور حياة أحد... لا شيء يغريني في هذا العالم لا شيء.. حتى مرآتي شبعت من رؤيتي، فقط أقبع خلف المكتب، أحملق على شاشة الحاسوب، أوهم نفسي ببعض الترهات، وبأنني جزء من هذا العالم... أنا أشبه كومة أشياء أفسدها الدهر، أنا يا الله أشبه الأوراق الممزقة، لا يلزمها ريح لتتبعثر، زفير طفل يكفي ليحملها بعيدًا".

تعاودني الرغبة بأن أكتب له

عزيزي سامي:-

"كم تمنيت أن تدرك أني سأرحل ذات يوم، وأني لن أكون هنا بِقربك، وأنك ستبكي طوال عمرك هذا القلب الذي اعتنى بك، وقلق عليك، وربت على قلبك، سَتذكرني كثيرًا، وسَتهمس باسمي كَثيرًا لكنني لن أسمعك، ولن أكون مرةً أخرى معك. تخالني الآن وحيدة تمامًا كقفل نحاسي صدئ متآكل كنتَ مفتاحه، وحيدة كمحطّةٍ على طريق مهجور.. منزوية.. منعزلة.. وبعيدة عن الآخرين.

أغلق هاتفي، ألغي جميع حساباتي، لا أخبر أحدًا، لا آخذ شيئًا معي، أذهب إلى مكان لا يوجد فيه أحد، أهرب أنا ونفسي فقط، أهرب من أي شيء، من كل شيء، أهرب كما تفعل أنت، فالهرب عندك حرية..

الطفلة الصغيرة كفت عن الصراخ، ما عادت تغريها لعبة فى يد غيرها، ما عادت تخاف البقاء فى الليل وحيدة، بل باتت تقدس العزلة وتسخر من الجمع الكبير، لقد أنضجتها الأيام والوحدة لحدٍ مخيف، باتت ساخرة من كل التفاهات والأشياء، حتى الألم أصبح صديقها الوفي، كلاهما يعرف الأخر معرفة وثيقة.

كنت أصرخ وأبكي داخل هذيان رأسي المشتعل بك، بلون عينيك وبصوتك، وأشعر بك تسكنني يوم بعد يوم (وكأنني جننت ومسني الشيطان) هكذا سمعت العجائز تتهامس خلف نوافذهم.

ليس لديك الوقت وأعلم أن حديثي صار مملًا ليس هذا نقاشنا الآن لكن لا وقت لدي لأوضح لك فيما بعد لهذا سأحكي لك الآن فمن حقك أن تعرف كل شيء، لن أُذكِّرك كم جُرِحت ولا عن الأحلام المسحوقة تحت حوافر عنادك، ولا عن قدرٍ تغلي ألقيت بي فيها وأنت تمضي، حديثي أبدًا لن يكون عني بل عن شام ابنتنا التي انتظرناها معًا، وصاياك لها، أحاديثك التي جعلتني أحفظها عن ظهر قلب، ماذا كنت لأقول لها؟ هل سألت نفسك كيف سأبرر لها هذا الغياب؟.

لأجلها...لأجلي...لأجل ما كان بيننا؛ كان علي أن أبادلك الغياب بالغياب والبادئ فينا كان أقسى وأظلم...كل ما أحتاج الآن وقتٌ نبيل (عميقٌ وهادئ)، وصديقٌ قريب يهرب معي حين أريد أن أركض في كل الجهات، ويظل معي حين أريد العودة إلى ركني المعزول، صديقٌ لا يطعنني في الظهر.

لا شيء سوى ندمٌ ينمو بين أضلعي، وأمنياتٌ بائسة بأن الغد ربما يعود، لا شيء سوى خوفٌ يتكدس في أكوابي، ألعقه بصمت

حتى لا ينتبه العابرون لا شيء سوى أحلامي المشردة على أرصفة الحاضر، وملامحُ مستقبلٍ مشوه لا يحمل أي أنباء سارة".

أغلقت الجهاز ونهضت حبست أنفاسها وسارت ببطء خطوة واحدة نحو الشمس أقنعتها أنها قادرة على محو الماضي من ذاكرتها وأنها ستبدأ من جديد... فجأة أطل رأسٌ أشقرُ صغير عبر باب غرفة المكتبة المفتوح على الصالة الكبيرة وانبعث صوته الطفولي بهدوء لذيذ "يا بنات يا بنات أنا كنت عم لاحظكن"

إنه غيث كالعادة، يرافق خالته المشرفة على السكن، يختبأ لأنها تمنعه من الحديث مع بنات السكن، وجه غيث البريء وصوته الناعم الجميل وحدهما القادران على إعادة بعض البهجة إلى قلبها مذ دخلت هذا السكن، لا يملك الحماسة من خيب ظنه كثيرًا وقد خاب ظنها بكل من وثقت بهم، عقوبة دخولها هذا السكن ستمضيها بصمت، لكن من الصعب عليها أن تشعر بالارتياح وقوائم التعليمات تملأ أركانه، وتغطي جدران الغرف.

لم تنس أبدًا كيف تفحصت المشرفة حقيبتها، حتى ثيابها الداخلية قلبتها وفتشتها، استثنت بعض قطع الملابس بحجة أنها كانت باهظة الثمن، وأخرى كانت ألوانها وأشكالها مثيرة

واستثنت كذلك علبة ماكياجها وحذاءً بكعبٍ رفيعٍ عالٍ ثم بابتسامةٍ باردةٍ سمحت لها بالدخول.

عادت إلى الجهاز من جديد وشرعت بالكتابة، كانت الرسالة هذه المرة موجهة إليها...

إلى نغم

"كلماتك مألوفة لدي ألفةً غريبة، حتى الآن لا أستطيع أن أمر على عبارة لك دون أن أردها إلى ذاك الحديث، ضحكةٌ عكرة تقابلها قراءةٌ مشوشة... كان لقائي بكما شأن كثير ممن عرفتهم، وكان أول لقاء مع الأدب بالمعنى الواسع الحالي له، تجمعكما مصر أم الدنيا والقاهرة المدينة الساحرة التي كأنما فرضت صفتها على كل من عاشوا فيها، قراءة في ترجمات وعوالم أكثر من أسطورية...

كان الحب لغة حديثنا، وكم كانت دهشتي عظيمة لأنكِ لم تفهمي ما كنت أقوله بهذه اللغة، في النهاية كان لابد من أن أذعن للأمر وأنا أرى نفسي في المرآة التي وضعتها أمامي، يا لها من فكرة ابتسمت وأعرف جيدًا كيف راودتك... لم تجرؤ أي منا على مصارحة الأخرى، لكننا نتقاسم الرغبة نفسها.

بطريقةٍ غامضة تتعمدين الكتابة عن اللذة التي يصنعها حديثه معك، تستعيرين مشاعري وأحيانًا كلماتي تكملين بها رسائلك

إليه، وبما أنني أدور في حلقةٍ مفرغة في حكاية حبي لـه، فأنـا أتأمـل الآفاق البعيدة وذاك اللاتناهي في حبكما الذي لم يكـن بمقـدوري أن أبلغه، شاحبة الوجه وحيدة اللغة، أراقبك وأنت تسألين ولماذا لا أكتب عنه؟؟!!

وعند الرد تظهرين لباقةً ورهافةً، فألمس بأنكِ تتمتعين بنـوع من الحرية وقد اعترف لك بالحظوة لديه، أتساءل أيجنبكِ خيبتي به سؤال ليس من شأنه أن يثير قلقكِ أو أي شعور بالذنب لديكِ.

عروس الحلم

عند باب السيارة كانت سعاد تنتظره منتعشةً مبتسمة ومن ورائه ينادي بيته الوحيد، سعادُ هناك وسعادةٌ هنا... تذكَّر الليلة الماضية... لعل عروس الحلم جاءت مبكرة... حديثها تضمَّن رغبةً في الزيارة أو ما يشبه ذلك، واقفةٌ أمام المدخل بابتسامةٍ عريضة... ماذا عليه أن يفعل الآن، من الأفضل العودة إلى البيت بسرعة.

عند باب الشقة بدا صوته أجشًا وحادًا ليس هذا الوقت مناسبًا للزيارة، عدَّل من هيئته والتفت يتفقد البيت، مُسرع الخطى مضى قلبها يطوف البيت، وعلى مقربة من كرسيه وقفت، يراودها السؤال أيكون لها ومعها كما هي له؟لمحت على طاولة مكتبه صورة لعائلته عاد قلبها خجلًا على رؤوس أصابعه، بدونه تشعر أنها ناقصة كطفل أفلت يد أبيه وسط الزحام تحتاج يده كي تعبر... تحتاجه، أوقاته الجميلة كان يمضيها معها، أمن السهل أن تنسى هذا؟ عاودتها الصورة تفهمت ما يعنيه كونه متزوج وعادت للابتسام ثم أومأت برأسها وانصرفت.. كان قلبه معها يهبط الدرج.

فن و الخراف

كمحترفٍ يتقن فنه، كان يرسم الصور ليدخل معها فيها... بحبٍ اعتادت متابعة أعماله ومعارضه، اقترب منها في لحظة سكونٍ وتأمل أمام إحدى لوحاته، برفقٍ رفع ما غطى وجهها من الشعر ليكشف دمعة مختبئة في المقلتين لم يكلمها، أسطوري أراد أن يكون في احتوائها، فهو لا يأت ليفتح للحزن بابًا، وإنما يحب أن يأتي من أوسع أبواب الفرح.

كانت آخر زائرة للمعرض، فدعاها في مرسمه، أمسك يدها، وترك للموسيقى إبداع تفاصيل المشهد، بسعادةٍ رقصت كما لم ترقص من قبل، ضم رأسها إلى صدره، ثملا بدفء قبلته التي أودعها على شعرها تركها وهو يُعِد بلقاءات أخرى، بحبٍ راحت تتلمس مواضع أصابعه، ما احتضنت يده أو لامست برقةٍ شفاهه، عذبٌ كان أو هكذا أراد قلبها أن يراه، هذا آخر ما فكرت به وقد احتضنها سرير الأحلام.

طال انتظارها كثيرًا، موسيقى تحاكي نبض قلبها، تشعل الشموع تارة وتطفئها أخرى، حائرة في تفسير كلمات رواية كانت بين يديها، اكتشفت أنه لم يعد بمقدورها أن تكمل قراءتها، لم تطق الصبر أكثر،"قلبي يشتاقك فماذا عن قلبك أنت؟ "بارتباك كتبت هذه الكلمات وأرسلتها له...

ترك الساعات تمر وهو على نار شوقها يُعِد فكرته.

تتابعت كلماتها "هنا أنا"، "على شرفتي أنتظر أن يحاكيني القمر"، "وقتًا ممتعًا أتمنى لك"، "اترك لي تصبحين على خير حين تعود من سهرتك"، ثم باكية لاذت بسريرها.

في كلماتها الأخيرة قرأ أنها تحترق، يدندن بكلمات أغنية كاظم - دلع النساء - دخل عليها، فادَّعت أنها مستغرقة في نوم عميق، بلسانه مسح دموعها، التي لم تكن قد جفت بعد، وعلى دفء قبلاته تداعب كل خلية من خلاياها غفت... لم يشأ أن يزعجها ترك الباب مواربًا وغادر الغرفة بهدوء.

صباحًا كانت رائحة القهوة تفوح بالمكان، وصوته العذب يهمس بأذنها "أما آن لشمس قلبي أن تشرق" لم يترك لها خيارًا، ابتسمت إذ لم يبق لها إلا أن تسامحه، عانقها بدفء، ثم حملها بين ذراعيه طاف بها الغرفة قبل أن يعيدها إلى السرير ويرتمي بجوارها... ليس صعبًا على من امتلك القلب أن يمتلك الجسد.

ساعات من الجنون والشغب، ربما كان من السهل أن ينتهي كل شيء بهدوء لكنه ملأ أركان غرفتها بالذكريات، بعد أن خطف قلبها وعقلها واستباح جسدها... أمسكت بيديه عند الباب كمن لا تريد وداعًا، قبلةً طويلةً منحها ثم غادر إلى عمله على عجل.

بعد عدة أيام، اتصل مبررًا غيابه معتذرًا لانشغاله ببداية عمل جديد، ثم توالت الاعتذارات...أيقنت بعد طول صبر وانتظارٍ أن هذا كان أسلوبه مع كل معجباته...لم تكن حزينة لفراقه، ولا ما بدَّدته في حبه من نبض، أحزنها أنها لن تستطيع أن تعود كما كانت من قبل.

قشرة بيضة تدعى الحياة

لم يكن لأحد أن يعلم أن ابتسامتها المُشرقة ستنهار أمام سؤال بسيط كسؤاله...إن امرأة ناجحة وذكية مثلك لابد وأنها أمًا مثالية، أليس كذلك؟

سؤال ألقى الضوء على زاوية كانت تحاول جاهدة ألا تنظر إليها، لقد أثار في نفسها ضيقًا غامضًا إذ ذكَّرها بحرمانها الأكبر...هي المرأة الناجحة الشامخة الباذخة المعطاء الذكية، تُمضي العمر مع زوجها وحيدين بلا أولاد، إنها لم تكف يومًا عن مواصلة النجاح...إلا في هذا، لم تعد تتمالك نفسها، أحست أنها تنهار أمام ذاك الإحساس الذي غمرها...إحساسها بأن كل ما صنعته لا قيمة له...واعتذرت عن متابعة الحوار بما لديها من مشاغل لكن عقلها ظلَّ مشغولًا بذات السؤال...

متعبة وكئيبة مضت، ما الذي تنتظره امرأة متزوجة تجاوزت الخامسة والأربعين، بدون طفل تغدق عليه حنانها، تداعبه....يناغيها...يلوِّن أيامها ولياليها... رفعت يديها نحو السماء وبصيحة استغاثة نادت يا رب، وبينما هي في غمرة بكائها قاطعها اتصال من أعز صديقاتها مُستنجدة بها... أنا في المشفى تعالي...أحتاجك...

لم تشعر يومًا أنها حزينة كهذا اليوم وصديقتها لم ترها من

قبل حزينة...مرَّ بها سريعًا التساؤل"هل ستعرف أني حزينة؟" لكنها لم تحب أن تفكر أكثر، تمالكت نفسها أخبرت سائقها وانطلقت إلى المشفى لتجد صديقتها وزوجها في بهو الاستقبال"من الذي جاؤوا بها لأجله إلى المشفى، من الذي يمكن أن يتملكهم كل هذا القلق لأجله...كانت الأسئلة تتوالى في عقلها كطوفان حتى وصلت إلى صديقتها وصافحتها فارتمت الأخيرة في حضنها وأجهشت بالبكاء...

صغيري...صغيرك....صغيرنا غودي الذي طالما أحببتِ هنا قد تعرض لحادث سير، شعرت بالهواء ساخنًا يلفحها...

لاااا كانت صرختها وركضت نحو صالة العمليات وبعد عدة محاولات باقتحامها خرج الطبيب إليها مطمئنًا الحمد لله تم انقاذه وهنأها ظنًا منه أنها أمه، بينما أمه في صالة الانتظار صامتةً محتسبة...

أريد أن أراه، قالت للطبيب: فأجابها هو في الانعاش تحلي بالصبر قليلًا، لكن لم يعد بمقدوري الانتظار يجب أن أراه ووصلت قبل مكالمة الطبيب لغرفة الإنعاش، ووقفت أمام السرير تراقب الصغير بعينين نهمتين، تريد الاطمئنان على كل خليةٍ منه، أدهشت الطبيب لهفتها وهي تحاول تقليبه، "إنه نائم سيكون بحاجة للهدوء والراحة سيكون بخير"، نقلت رسالة الطبيب إلى أمه وطلبت منها أن تعود إلى صغارها الذين تركتهم

في المنزل لتبقى هي معه، لم تملك الأم ردًا خاصة وأن منهم الرضيع الذي لم يتجاوز شهره الثاني، حاولت رؤية صغيرها فمنعوها لأن الطبيب قد منع عنه الزيارة، عادت أدراجها الى البيت مودعة غودي للطف ربها وعناية صديقتها التي لم تشك يومًا بحبها له وتعلق قلبها به.

خلف الزجاج وقفت تراقبه، أغدقت بطلب الرحمة من السماء وذرفت دموعًا سخيةً مستجدية أن يعود للحياة كانت تطلبه من ربها كما لو كانت تطلب ولدًا لها فقد كانت تحيا معه هذا الحب، أمضت ليلتها تطرق بإلحاح أبواب السماء حتى إذا كان الصباح جاء بالبشرى معه يزفها إليها الطبيب"بإمكانك رؤيته الآن وسيرد عليكِ إن تحدثتِ إليه...انطلقت بخفة فراشة والأم تقف على بعد خطوة أو خطوتين منها تنتظر إذنًا بالدخول أنا أمه قالت للطبيب"فالحقي بها إذًا"

كانت سعيدةً جدًا بشكواه إنها صوت عودته إلى الحياة مدَّت يدها تحت السرير تحاول أن تحتضنه كله فقبَّل أطراف أصابعها التي لامست وجهه، قبلت يدها وخبأتها في جيبها كأنما حازت كنوز السعادة كلها ثم التفتت إلى صديقتها، الآن وقد صار بخير كوني معه وسأكون اليوم مع أولادك، ثم انطلقت إليهم مُحمَّلة بما يفيض به قلبها من عطف وحنان.

أنت الحياة

كإنكليزية يصيبها غياب الشمس بكآبةٍ، أعدَّت كوبًا من الشاي ثم عادت إلى سريرها، زادت من حرارة التكييف، لقد اتخذت قرارها بعدم مغادرة المنزل لولا أنها تذكرت موعدها مع الطبيب، بدايةً لم تشعر بالارتياح لهيئة هذا الطبيب، ولا لسنه المتقدمة أو عيادته شبه المهجورة، لعلهم بالغوا في وصف إمكانياته، واهتمامه بالحالات التي كان يتابعها، مع هذا يتوجب عليها عرض ابنها عليه، غمرها إحساس بحاجة للبكاء، عيناها لا تريان إلا غودي وشعور بالاختناق أطبق على صدرها غريب أمرها مع هذا الطفل...

هو هي والموت ثلاثي غريب الآداء... في الساعات الثلاثة التي تلت ولادته، تعرضت لنزيف صاعق _ كما أسماه الأطباء _ كاد يودي بحياتها، غير أنها كانت المحظوظة الوحيدة من ألف، التي نجت من الموت المؤكد بعد هذا النزيف، كان مكتوبًا لها أن تنجو هذه المرة لتعيش الموت مرارًا فيما تلا من حياته، ما حدث معها في ولادته، جعل الأطباء يقرون وجوب توقفها عن الإنجاب، وقد تقبلت بسعادة هذا القرار، فهي كشرقية قد أصبح لديها بولادته وريثان فيما يكفي لأي عائلة وريث وحيد، لكن خطأ ما حدث في تطبيقها لذلك، وها هي الآن حامل تتردد على

عيادات الأطباء لإجهاض الجنين، كانت خطورة ذلك على حياتها يوازي ولادتها له بعد إتمام هذا الحمل، لم يعد أمامها من خيارات إلا الإبقاء عليه وانتظار الأشهر.

ثمانية أشهر أخرى، ثمانية أشهر بكثير من العذاب والقلق كان عليها أن تنتظر، خوفها من تكرار ما حدث في ولادة غودي جعل حملها أثقل هذه المرة، وآلامها أصعب، بدت أيامه طويلة أكثر مما تحتمل، لكنه مرَّ ، ووضعت مولودها الثالث في ظروف طبيعية جدًا، مما جعلها تزداد نشاطًا وإقبالًا على الحياة، ولعلها لهذا لم تتذمر حين رفض مديرها في العمل- الذي لم يرزق إلا بالبنات- منحها إجازة لأكثر من شهر واحد عقب الولادة، وهكذا عادت إلى العمل دون أن تطيل، أو تفسح مجالاً للمزيد من سماجته، وهو يخبرها إن اهتمامها بالبيت والأولاد سيفقدها كل مهاراتها المهنية، وكل ما تعلمته في الجامعة التي تخرجا منها معًا.

خرجت من مكتبه بعقلٍ طليق، وهي تبتسم، لم تكن على عجلةٍ من أمرها، ولكنها لم تكن تريد الالتفات إلى الوراء، كان غودي جميلًا جدًا، وأبيض جدًا، وكان ينمو بشكل ملفت، وقد سبق أخاه الأكبر في اعتماده على نفسه بكثير، كان الهواء منعشًا وثمة رذاذٍ خفيف يتساقط بهدوء، وغيومٌ متفرقات تسبح في السماء، في يومٍ ربيعي من أيام نيسان، بل كان اليوم الثالث عشر منه.

بعد المرور على المبنى الذي تشرف على إنشائه، كان عليها أن تتجه إلى مدرسة ابنها الأكبر، ثم برفقته تمر على حضانة أخويه لتصطحب الثلاثة إلى المنزل، لكن في هذه المرة، كان عليها أن تتابع مشروع جسر في موقع قريب على أحد الطرق المؤدية إلى المدينة، وثمة توجسٍ يمر بخاطرها، استعاذت بالله ورفعت رأسها إلى السماء الغائمة، وهي تفكر بأولادها الثلاثة.

اتجهت إلى مدرسة الأكبر، وأمام بكائه وإصراره لم تجد بدًا من اصطحابه معها إلى مشروع المبنى، كانت تحس شبح الموت يخيم على المكان، وكان قلقها يكبر وهو يصعد السلالم غير الجاهزة، ويعبث بأكوام الرمل والحديد والخشب، لم تكن عيناها تفارقانه، وهي تشاهد مع رئيس العمال ما تم انجازه في غيابها، وتستعرض ما سيتم، مسجلةً بشيءٍ من التوتر ملاحظاتها على دفتر الورشة.

شعرت بارتياحٍ وهي توقع على الدفتر معلنةً انتهاء المهمة، لقد أنهت عملها، وبأسرع ما تستطيع خرجت برفقته، ضحكت من قلقها، الذي لم تعرف سببًا له غير اهتمامها المبالغ فيه بابنها، وحرصها على تقديم الرعاية القصوى له، في ظروف عملها الصعبة والشاقة، مشت على خطاه، مستمتعًا بركل الحصى في

أرض المشروع، وإثارة أسئلةٍ لم تجب إلا على القليل منها، وهي تفكر بالوصول إلى إخوته قبل هطول أكثر للمطر.

غمزتها الشمس مبتسمةً بخجلٍ من بين الغيوم، شيءٌ من الأمل لاح لها، وضعته بحجرها وانطلقت بالسيارة، غمرها إحساسٌ لذيذٌ بالتحرر، حين التقت بزوجها أمام باب الحضانة، وجوده بعث فيها الاطمئنان والتفاؤل، زاد منه إطلالة الشمس سافرةً، ضحكت لعودته قبل موعده، حمدت ربها كثيرًا، واقترحت عليه اصطحابها لمشروع الجسر، في رفقته كانت تجد الكثير من الأمان، أصر الابن الأكبر على مرافقتهم، مما جعلها تقترح على زوجها أن يأخذهم بنزهة على الكورنيش ريثما تعود بسلام.

عند وصولهم الحضانة لم يزعجها بكاء ابنها الأصغر، كان ليزعجها أكثر في غير هذا الوقت، لكنها لم تفعل، أخذت الصغير، بينما أخذ غودي بيد أبيه طامعًا بالنزهة على الكورنيش، حملت الصغير الباكي بين ذراعيها، وأسرعت به إلى المنزل، نزعت عنه ملابسه، باحثةً عن سببٍ لبكائه، أنهت حمامه بسرعة، واحتضنته ترضعه، في هذه الأثناء دخل زوجها ليأخذ جاكيتًا خفيفًا لغودي، شهقت عند دخوله تاركًا غودي وأخاه في الشارع، فأشار إليها لتهدأ، وقال ماهي إلا ثواني.

كانت تحس شبح الموت يحوم حول أماكن تواجدهم، يتربص غفلةً منهم، لم يمهلها أكثر، كانت دائرة القلق تضيق لتحيط بغودي، نادت اسمه أكثر من سبع مرات متلاحقة، قبل أن تسمع صوت فرامل سيارة، أحست قلبها تحت عجلات تلك السيارة، حافية معقودة اللسان لحقت بزوجها، كان يحتضن غودي غارقًا بدماء تسيل من رأسه، ازدحامٌ كبير حال بينها وبين غودي، تغشاها الدوار وكادت تسقط على الأرض، لولا ذراعان طوقتاها وساندتاها في العودة للمنزل، انتعلت حذاءها غائبةً عن وعيها، كادت تغلق باب منزلها على الرضيع وحيدًا، لولا جارتها تدخلت وحملت الصغير معها، أودعت الآخر في البيت المقابل، واتجهت إلى المشفى، كانت تلحق بالسيارة وهي تقطع شوارع عدة تفرضها اتجاهات السير، ناسية طريقًا مختصرة، كان بإمكانها أن تسلكها لتصل قبله.

في صالة الاستقبال في المشفى، غمرها شعورٌ بالعجز لأول مرة، شعر غودي الذهبي المخضب بالدم، صوته المتكسر يناديها، وهي ذاهلة، تخونها عيناها العاجزتان عن سكب الدموع، لا تعرف أين تتجه، استجدت حضور أبيها بوقاره المهيب لينقذها لكنه توفى، ناشدت حنان أمها أن يسعفها، لكنها مسافرة، تفتقد

دفء جوار أخيها المهاجر بمثل هذا الموقف، لا أحد ممن تحب، لا أحد منهم على الإطلاق، لكن الصالة تزدحم بالكثيرين، كلهم معها، كلهم يواسونها، لكنها لا تسمع إلا صوته الباكي يناديها، يمزقها من الأعماق صراخه الموجوع، هل جاء غودي إلى الحياة ليزيد من عذاباتها، وهل سيغيب الآن، تاركًا لها وجع هذه الذكريات، لا وقت لمثل هذا التفكير الآن.

وبعجزٍ واستسلامٍ مطلقين، رفعت نظرها إلى السماء "يا رب كنت لطيفًا حين وهبته لي فرده كاملًا، أو كاملًا خذه إني أرجوك وأنت أرحم الراحمين"

أمام صالة العمليات ذات الجدران المصمتة المغلقة، لفتها العذابات واستعدت للخسارات، تلمست دربًا يوصلها للأمل، ثمة ذكرياتٍ منه تشدها، استأنست بها، ضحكته... صورته يربط خيوط حذائه رافضًا أي مساعدة، أمام المرآة يصفف شعره، يرتب برفقٍ غرفته يبتسم لها، ينطلق مصرًا أنه كبر، وأنه ليس بحاجة لإمساك يها لعبور الطريق، هرولت في أنفاق الذاكرة لتلافي دكنةً تحيط بها، غمرتها أغماءةٌ روحية أنعشتها، فتح الباب ولاح الضوء مع ظهور الطبيب، جفف عرقه ورفع الكمامة عن فمه وحياها... ثم قال لا جدوى من وجودك هنا، سيكون لمدة ثمانية وأربعين

ساعة في العناية المركزة، سيكون برعايتنا، ولا أعتقد أن بإمكانك مساعدته بشيء.

هنا تخلت عن وقار الصمت، وصرخت أنا أمه ثم ارتمت على المقعد، كانت رائحته الطفولية تعبق بصدرها، تجبرها لتتسمر خلف الزجاج تراقبه، راقدًا بلا حراك وقد غطَّت الضمادات رأسه وجسده الأبيض الغض، أي قدرٍ هذا الذي كتب لهما، وأي نوع من الإصابات هي إصابته، راحت تتأمل وأحست البلل على يديها المسندتين على حافة النافذة "آه غودي إن كان كُتِب علينا الفراق، فلِمَ لم يكن قبل عامين حين وضعتك"، قاطع أفكارها الطبيب قائلًا: "عودي إلى البيت لا فائدة من وجودك خلف النافذة هنا، غادرت المشفى المطلة على النهر، هبَّات وجعٍ تتدفق في فؤادها، تسمعها أصوات أطفال، يخيل إليها غودي وهو يركض على الرصيف المحاذي للنهر، كيف كان الشارع حينها أجمل، تطوف في ذهنها صورٌ وحكايات، تتفتح أمامها دروب الحلم حين يستوقفها كهل يسأل عن غودي، يخطفها إلى الزمن الذي كانت ضحكاته تعزف في هذا الطريق أجمل إيقاع، كنا نراه مع والده يترنح طربًا يقول الكهل، فتشير إلى المشفى، وتطفر من عينيها الدموع.

حتى البيت كان معتمًا مسكونًا بالصمت حين دخلته، قبل أن تطرق جارتها الباب تذكرها بموعد رضاعة الصغير، احتضنته وانفجرت ببكاءٍ حقيقي، تفحصته وأرضعته بسرعة، ثم انصرفت بحواسها إلى غودي، قفزت بسرعة، أودعت الرضيع عند جارتها، وحثت الخطى من جديد نحو المشفى، لم يشدها الهواء البارد في الشارع هذه المرة، لم تحركها النسمات التي لامست خدها، ولم تأبه لأصوات المارة ولا السيارات، عيناها شاردتان تملؤهما صورة غودي، تمهلت حين اقتربت من المشفى، تفرس في وجهها رجلٌ التقى نظره بنظرها، ابتسم لها ابتسامة غريب "ستقولين: أي فضولٍ قادني إلى هنا؟"جئت لأطمئن على غودي، كلماته جعلتها ترد على ابتسامته بابتسامة، إنها لأول مرةٍ تبتسم للعابرين، لكنه ليس من العابرين لقد جاء يسأل عن غودي، هناك من يلوح لها، تهبط الدرج المؤدي إلى مدخل المشفى، وتساءل نفسها: هل من مسافةٍ تحميني من سماع ما يزعج... ماذا لو؟ لا..لا أريد أن أكمل السؤال هل أنا تلك الشجاعة؟ ماذا بقي لي من شقاوتي ورغبتي المتفجرة بالحياة؟ وينغصها صوت غودي، ووجهه المسكون بالخوف والألم، شفتاه الكرزيتان، كيف استحال لونهما واختفت منهما الابتسامة.

خبأت الحزن والدموع حين التقت الطبيب أمام المصعد، تبسَّم قائلًا لها: "نحن صاعدان إلى غودي"، ابتسمت عيناها الواسعتان وتبدى ما فيهما من حزن ودموع، لكنها بقيت ساكتة سكوت البنت المهذبة، حتى وجدت نفسها راكعةً أمام سرير غودي، كانت نظراتها تبحث عن مصدر ألمه، وحواسها متحفزة لالتقاط آهة منه، كانت الضمادات تقيم جدارًا غامضًا بينها وبين إصابته، تلمست أطراف أصابعه اطمأنت لوجودها كاملةً، تلمست أطراف قدميه أحست الدفء الساري فيهما، تأملت طويلًا جسده، وتوقفت أمام وجهه الملائكي الغافي، تمنت لو يفتح قليلًا عينيه المغمضتين لتتعرف إلى سلامتهما، لو يسمع صوتها أو تسمعه، لكن يد الطبيب على كتفها أعادتها، أشار لها لتخرج، رجته بعينين غارقتين بالدموع أن يتركها لبضع دقائق، لكنه أبى، نحن هنا لنقدم له كل ما قد يحتاج إليه، تفهمي هذا، لكنها لم تكن تطمع بالكثير، أن يصحو فقط، ابتسامةً منه تعيد لها بهجة الحياة، أو لمسةً تستقبلها بمسام روحها قبل جسدها.

غادرت الغرفة،جلست على مقعدٍ عند الباب والرعشة تغزو جسدها وذاكرتها، أحست بالبرد، بالوحدة، رغم وجود الكثيرين، الطبيب يناديها لم تتوقع نداؤه بهذه السرعة، إنه يصحو نهض قلبها

إليه، تلمست الباب أحست قرابةً تجمعها بالباب، إنه يوصلها إلى غودي، وتركت عيناها تتسلقان السرير، انتشت روحها بعيني غودي السوداوين، واقتربت من يده التي كانت تعشق لمس كل شيء، تأملت الضماد طويلًا، حاولت أن تضمه، منعها الطبيب قبلت يده بحرارةٍ وغادرت المكان، كانت تبتلع فضول الأسئلة خشية أن تسمع ما لا تتمنى من الطبيب، تركت الأسئلة لزوجها الذي سيمضي الليل في المشفى مع غودي، وعادت إلى البيت تنتظر الصباح.

شعورٌ بالذنب كان يسيطر على الابن البكر، كان يعتبر نفسه الملام على ما جرى، ألم يكن معه، كيف لم يحميه، احتضنته وابتسامةً ترتسم على وجهها، وهي تمسح دمعةً تطفر من عينها، نام إلى جوارها ومعهم الرضيع، هم جميعًا ناموا بذات السرير، أحست بانشراحٍ يغمرها، وأنها تتصالح مع الحياة وهي تسمع نغمات أصواتهم، عند الفجر نهضت تهامس نفسها وقد تزاحم الخوف والدموع في عينيها، ليلتها من ينساها، ودَّعت الصغيرين ومضت للسير على كتف النهر، قبل هذا اليوم كان يرد لها الروح، النسيم... الشمس...لا شيء يُحرِك مشاعرها هذا الصباح إلا ترقُّب صوت غودي.

ذكريات تعاودها في نفس الطريق، لكنها كصحو بين الغيوم، يخنقها أنين غودي، ضحكته وحدها بوابة الحياة لها، سحبت تنهيدةً عميقة وهي تضع رجلها على أول درجةٍ، ثم هبطت تغمر روحها لهفة اللقاء، وأطلَّ وجهه الحبيب بخيالها البريء فابتسمت بلا وعي في وجوه الصاعدين، أحسَّت بارتباكٍ شديدٍ حين لم تجده، طلبت نجدة عاملة الاستعلامات، بصمتٍ قادتها إلى غرفته، راودها حلم بمتعة الانفراد به، أخيرًا بعيدًا عن تلك الأجهزة المقيتة ورقابة العاملين في العناية المركزة أحست بدوارٍ خفيفٍ وهي تلج الباب، ساندها زوجها لكنها فشلت هذه المرة في الابتسام، غامت عيناها وهي تتفحصه، وكان الأفق يضيق كلما اقتربت أكثر، كل ما فيها غائب تتمنى لو تستطيع اختراق هذه الضمادات بنظراتها، تمنت أن تضمه بقوةٍ... أن تتحس جسده... أن تطوقه بذراعيها، لكن ذلك كله ممنوع.

ووجدت في نفسها الرغبة بإخراجه للحياة، تذكرت الساعات التي فصلتها عنه حين انتابها النزيف عقب ولادته فلم تحظ بما تحظى به كل أنثى من روعة اللقاء به، لكنها فعلت بروحها وهي غائبة عن الوعي، لم تهزم واسترجعت دفقة القوة التي كانت تمضي بها في طريق حياتها الطويل، تغلغلت شفتاها

بأصابعه الدقيقة بقبلةٍ عميقة، وهي تقول بسرها كنت أعلم أن الحياة لن تخذلني، كنت واثقةً من عودتك لي، فتح عينيه لتتعانق بداخلها الألوان مهرجان أزهار، ابتسامته مهرجان آخر، ابتسامةٌ كانت تكبر في عينيها، تعانق أحلامًا بالحياة، لامست أطراف أصابعه بأصابعها، والفرح يفيض من عينيها، مست جبهته لتطرد عنه أشباح الخوف والحزن والألم، تقاذفتها لحظات من العذاب، عذاب ضياعه، قلقها لإصابته، الكدمات على جسده، الدماء التي رأتها تغطيه، نظرت إليه وسرت رجفةٌ في جسدها، لم تكن تتوقع ما رأته، أين ستُقبِّله واختنقت بالسعادة، ارتعشت يديها وهي تمتد للطبيب بالتحية لست أعرف كيف أوفيك حقك من الشكر.

أيام أخرى

على مدونتها كتبت...

(ثمة أشياء أخرى تعلن الحب...آه لو علمت غودي، كل أولئك الذين خبروا تأثير آلام الآخرين في قلبي، كانوا حولي، حرصوا على تجنيبي أي انفعال، وهكذا بقيت على مدى سنوات تعبك امرأة مدللة، كنت أرى الدنيا في عينيك، وكأنك الابن الوحيد لي، لا أسمع إلا صوتك، لا أحس إلا ألمك، ولا يهزني مثل دموعك، أو صوت بكائك.

لقد تغلل الحزن إلى عظامي، إلى أعمق أعماق روحي، كنت أؤمن بالطقوس الدينية لكني لم أقو على أي منها، سوى الدعاء وطلب المغفرة، هكذا كنت أعرض الأمر أمام الله، وقتها كان لدي إحساس بأن ذنوبي أكثر من أن أطلب الصفح عنها خطوة بخطوة أجملتها بتوبةٍ وأنا أعلن الخضوع والاستسلام، لقد وهبك الله لي، ولن يأخذ فرحتي فيأخذك، كنت على يقين بهذا...

وعُدُّت لي كما كان قبل سنتين تمامًا، تعتمد عليَّ بالكامل، أحوطك بكل عنايتي وأنسى كل شريك لك في حياتي وقلبي، ألوذ بالصمت وإن حدث ونطقت فدموعي تسبق كلماتي، الآن فقط لا أجد حرجًا وأنا أبوح، فالكل أدرك حبك الذي ما عاد سرًا كباقي

أسراري، وقتها لم يكن لديَّ الوقت لأكتب، كانت حياتك الأهم عندي، وبها وحدها كنت أفكر لم تؤثر بي أشباحهم التي كانت تطوف حولي، ولا أصواتهم اللاهجة بالدعاء، سؤال واحد يحضرني، هل ستشفى؟ أراقبك على ذاك السرير، بجسدك الأبيض الغض وتلك الضمادات، أي ألم كان يمر بك وأنت تناديني؟ كيف استطاعوا إخماده؟

أراك ترتعش فيرتعش قلبي، تنهمر دموعي أريدك حيًا، متمسكةً بالأمل في شفائك، كانت عيناي مشدودتان إلى سريرك، تتفحصانه بالحنان الذي أشعره نحوك، تتأمل رأسك وذراعيك الملفوفة بالضمادات، كنت أتفحصك من رأسك حتى قدميك، أتناول أصابعك أقبلها الواحد تلو الآخر فرحًا بسلامتها، كان قلبي يخفق مع كل نفسٍ من أنفاسك، وأذني مرهفةً لالتقاط أدنى همس قد يصدر عنك، يعيد الحياة لقلبي).

مضى يومان، وها هو الطبيب يدخل لتغيير الضماد، أحست بغباشٍ في عينيها، وطفقت تنظر فلا ترى شيئًا، ولوطأة المفاجأة تسمَّرت على المقعد، ولم تقو على المتابعة، كيف ستشعر وهي تراه كل يوم، نهضت من جديد ونظرت إليه، سرت رجفة في جسدها، وارتعشت كفيها وهي تمتد لرأسه الصغير، قرأ الطبيب

سبب ذهولها، وسارع إلى القول المهم أن دماغه بخير، سيحتاج إلى عدة عمليات أخرى، لكن استجابته الطبيعية بشرى خير كبيرة لنا، أسرت الحزن وتابعت بتوجعٍ النظر إلى صغيرها.

أمضى غودي خمسة عشر يومًا في المشفى، تحت رقابة الأطباء، وفي عناية ظاهرة من الممرضين والعاملين، قبل أن يدخل طبيب آخر لتغيير ضماده، كانت صدمة الأم لا توصف، وهو يخبرها أن عظام جمجمة الصغير لا تزال مكشوفة، وأنها قد اسودت، وأن هذا لا يبشر أبدًا بالخير، وأشار عليها بمغادرة المشفى بأقرب وقت، والسفر به لإصلاح الخطأ الطبي الذي حصل.

لو أنها تملك فقط أن تلغي ما في الحياة من عذابات...لقد ولدت لتجد نفسها في طريق شديدة الوعورة، وكأن عليها أن تقطعها وحيدة، وهكذا دخلت في صمت محبوس الأنفاس، احتضنت رأس صغيرها بين يديها، وبصمت حاولت أن تحتضن خوفه، أن تمنحه الشعور بالأمان، لكن دموعها غلبتها لتعلن وطأة اللحظات عليها، كانت نظراته تتلمس كل ما فيها، تربت على كتفيها، فتوقفت عن البكاء.

وفي المساء كان كل شيءٍ معدٌ للسفر، التزمت الصمت طيلة الطريق، وبقيت عليه بينما الطبيب يحاور زوجها وأختها - التي

أصرت أن تقاسمهم ألمهم - في طريق العلاج، ثم اختصر الزمن والقلق بعرض صور لعمليات مماثلة أجراها بنجاحٍ، ولا يزال يحتفظ بصورها على حاسوبه، حينها تعرف الطبيب إلى الأم التي كانت تراقبه بصمتٍ متوتر، الطبيب الذي أحاط الصغير بالعناية والاهتمام، شرع لها بابًا للأمل، كلامه بعث الاطمئنان في قلبها، فلم تأخذ وقتًا طويلًا في التفكير، بل لم تغادر عيادته إلا وقد حجزت لدخول صغيرها المشفى في صباح اليوم التالي لإجراء العملية، حسنًا لربما بالغ في طمأنتها لكنها تطمح بأن يصدق وعده في الاهتمام وتقديم أقصى إمكانيات العلاج.

عاد الجدار يفصل بينها وبين صغيرها وحده الدعاء يحملها إلى رحابة الحلم...كادت التساؤلات تغرقها حين دخلت الممرضة بالصغير،"ساعتان فقط وتغادرون هذا المشفى لقد تم العمل بنجاح"بهذه العبارة لخصت الممرضة كل ما لديها، وكل ما تعرفه عن حالته، ولم يتبق إلا مراقبة الصغير، ثمانية وأربعون ساعة كانت كأنها سنوات، حين رفع الطبيب الضماد كان المنظر مفزعًا لها لكن الطبيب طمأنها أنه سيكون بخير، وأن كل شيء سيكون على ما يرام خلال ستة أشهر، ولكنه قد يكون بحاجة لعمليات أخرى قبل دخول المدرسة كأول احتكاك رسمي له بالمجتمع.

لم تكن تملك أن تغير رأيها، كان كل شيءٍ قد انتهى ولم يعد لها سوى الصبر، بحنقٍ تعامل الصغير مع غطاء الرأس، وبجموحٍ استقبل واقعه...شهر مضى وهي تراقبه بنظراتٍ غائمة، كان جماله لافتًا وقد زاد منه القبعة التي بات يعتمرها، كانت حالته تتحسن بصورةٍ اطمأن معها قلبها، واستطاعت العودة إلى العمل، النظام...العمل على احترام المواعيد... متابعة مستجدات علاجه... اختصار القول... اختصار الرغبات... تقديس العمل واعتزال الفرح والضحكات، كان هذا برنامجها منذ يوم إصابته.

أسئلةٌ شتى كانت تراودها، لكنها لم تجرؤ على طرحها حتى بينها وبين نفسها، تساؤلات كانت تسجنها بين أماكن كان غودي اعتاد التردد عليها، وحدها الشمس بحضورها وغيابها، تؤكد أن الحياة ما زالت مستمرةً في عالمها، كانت تبحث عن شيءٍ يؤكد ارتباطها بالحياة، فإذا بها تجد حاجتها في الكتابة، كانت هي الشاغل الذي يلهيها عن استرجاع تلك اللحظات،كتبت عن أحلام لم تكتمل... عن الحب... عن أشياء تجعلها تبتلع المحنة وحيدةً، تكتب وتكتب ثم تحتضن رأسه وتبكي بحرقة، حتى إذا هدأت نوبة البكاء أسندت رأسها إلى المخدة، أغمضت عينيها واستسلمت لنوم كان يصر على أن يجافيها.

انزلقت البلاد إلى أزمة غير واضحة المعالم، وصارت حاجتها للهروب أكبر، وانفتحت بوابات التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت على مصراعيها، هنا وجدت في الفيسبوك ملاذًا لها، من مطبات الوجع، عالمًا فسيحًا يفتح أبوابه لها مرحبًا، أو هكذا ظنته حين تعرفت فيه على سامح، شابٌ أسمر أطلَّ عليها من نافذته، وتمهيدًا للحديث أرسل إليها شيئًا من كتاباته، لكنه أضاف مشاكسًا عبارات أراد بها أن يكسر الجليد الذي أحاطت به قلبها، أحسَّ الأثر السلبي الذي تركته كلماته في نفسها من صمتها، فتحول بحديثه إلى الأدب والرومانسية، مفلتًا شيئًا مما أسماه عامدًا قلة أدب، ولمح إلى ضرورته في الحياة وإلا تساوت بالموت، استمعت له وضحكت لأول مرةٍ من القلب، هربت بالحديث معه من بشاعة ما يحيط بها، من صخب الآلام التي اكتظت بها روحها، كانت تراه عالمًا من الغموض والأسرار، مليئًا بالتشويق والإثارة، وكان يراها رغم ما تبديه من حزن وعزوف عن الرغبات مكتظة بالأنوثة والحياة.

أرادت منه حبًا تمسح به عن قلبها صدأ الأيام، كان لظهوره وقع المطر على أرض اشتد بها اليباس والعطش، واستطاع أن يحول بسحره أشياء كانت بلا قلب، فرأت الورد ينبت على بابها

الخشبي حين يطرقه، وألفت تراقص الستائر حين يمر، أدهشته فترةً، أشعلته، تبادلا الحب كما الهدايا، لكنه لا يعشق إلا رحيق البدايات، يسأم الشوق ويحمله اللوم على الضجر، ولم تزل تلاحقه كما تلاحق الطفلة غيمةً على أملٍ بالمطر، ولم يزل حبه موج يصفعها كل حين، حاولت أن تترك كل شيء، أن تهرب إلى مكان بعيد من هذه الذاكرة الثاقبة، عيناه تتبعانها حيثما ولَّت، براقتان داكنتان مثل نجمتين، شجاعته صنعت رغبةً لديها بهزيمته.

دعاها للرقص، لم يعلن لها الحب، لكنه عزف لها موسيقاه وترك لها أن تحس ما تشاء، الإعجاب... الانبهار... الانخطاف، ضحكا... حزنا... اشتعلا...انطفأ معًا،أعاد لها زهوها، أكلها الحب، لم تنتبه إلى خطر مزايدتها له في الحب، في بعض الأحيان يصبح الأصعب عليك أن تعرف ما هو الأغلى، لقد وجدت لديه كل ما تحتاج لمواصلة اشتهاء الحياة، وأغدقت عليه الحب الذي اختزنته في سنوات مضت، فارتاب في كرمها، كانت تظن احتمال الخسارة غير وارد لها، لم تعرف أن الأشياء في ذروتها تكون أقرب للزوال، لم تعترف بأي قانون للتوازن كانت تغني دومًا للحب، ولم تنتبه أنه يومًا لم يغنيه، كانت تراه أضخم من الحياة، وتحلم بحبه كأسطورة، كيف لها أن توقف كل هذا العويل الذي يتردد

صداه في رأسها اليوم وهي حائرة في أسباب ما بينهما من الفراق.

تمر الدقائق تذكرها أنه ليس معها، تعبث بوردة كانت تزين المزهرية تعذبها معها بلعبة يأتي لا يأتي، البتلة الأخيرة تقول لا يأتي جعلتها تصمت طويلًا...عادت إلى مدونتها تسجل...

(أنا الآن خارج فراشي... نسمة خفيفة تمر ما بين عنقي وياقة القميص، لا داعي لمزيد من التخمين، لن أسمح اليوم بأي حديث عن الحب، هذا الصباح فتحت نوافذ الغد، لقد قررت العودة إلى صفوف الأحياء، لا أحتاج لشرح ما كنت عليه من تعب وتردد.

فنجان قهوتي بيدي وفيروز تغني يا جبل البعيد خلفك حبايبنا...ترشدني إلى حل، نعم أفضل ما يمكن أن تتخيله جبل بينك وبين من تحب، هكذا يعجز التملك منك، كيف توصلت إلى هذا الدواء اللطيف، أخيرًا ثمة ما يوفر راحة البال لقد حان وقت التغيير، جبل بعيد ومن خلفه الحب...كم سيكون صعبًا الوصول إليه.

بعيدًا عن أي حديث آخر، التفاؤل مناسب جدًا حتى وإن كان وهمًا أصطنعه لصباحي حين تطالعني في المرآة صورتي كئيبةٌ مجعدةٌ وشاحبة، لا أجد في هذا الوقت أي قدر من السعادة...

محاولة تذكر عيني غودي قد تسفر عن فائدةٍ عظيمة، نظراته تحث على الحب أكثر على الحب بطريقة مغايرة، إنها مناسبة جدًا للعودة بعد طول النوم هذا إلى الحياة، قلبي يقول ثمة سعادة ستأتي، أنا أصدق قلبي، تكذب هذه اللعبة كثيرًا... لابد من تغيير جلستي، يكفي ما طرأ على حياتي من تغييرات هذا الصباح).

قلوب حائرة

على الرغم أنها لم تتجاوز الأربعين بكثير، بدت عجوزًا شديدة التعب، وهي ترتدي ثياب الحداد، على أحداث لم تكن تعلم إن كانت سببًا في حدوثها، أم أن القدر ساقها إليها، تمامًا كما ساق إليها هذا الزواج، جرت تربيتها من أجل حياةٍ فاضلة وإيمانٍ ونكرانٍ للذات، وعاشت كذلك لتنتهي زوجةً صامتةً، وأمًا متفانية تكتم الكثير من الحزن والألم، ولا تتحدث إلا همسًا، كانت تحب ذويها جدًا، ولم تكن تتصور الحياة بمعزل عن الأهل والأصحاب.

أسرةٌ كبيرةُ العدد، متحدةٌ بروابط بدت لها في الكثير من الأحيان خانقة، وبقانونِ شرفٍ صارمٍ نال حتى من ضحكاتها، وإن لم يقتل ابتسامتها، التي كانت جزءًا من وجهها كما غمازتيها، لا أحد يحب الحرب ولا يشاؤها أبدًا، مع تغير ظروفها في الحرب بدأت تشعر بالفتور والملل، في البداية، شغلت نفسها بمهام الخدم لتنهك جسدها القوي النشيط، وقراءة الروايات لتروي روحها المتعطشة للحب والأحلام، أضافت القراءات المتنوعة الكثير لأفكارها، وأطلقت العنان أكثر لمخيلتها وأوهامها، اكتشفت أن البقاء بعيدًا عن هذه الكثرة أفضل بكثير، فاعتنقته مذهبًا.

ثم وجدت في الكتابة راحةً لها من ذلك كله، فراق لها أن تمزج قراءاتها بواقعها وبشيء من أوهامها مع ذكرياتها، لتكتب ما يخطر لها، لقد وجدت أخيرًا متعةً تسلي بها أوقاتها المشحونة باليأس والألم، وتسعد بها الطفلة التي ما زالت في أعماقها، وقد انعكست عذوبة روحها على حرفها، كما انعكست من قبل على ملامحها، فبدت متألقة إلى حد ما وجميلة- أو هكذا أوهمت نفسها - فكان هذا أكبر وهمٍ سكن أعماقها، وكان له الأثر في تقويض سلامها الروحي.

وجدت الراحة مع الشباب المتشربين بالأفكار الأوربية، على عكسها هي التي تعيش بأفكار ترجع إلى زمن بات بعيدًا جدًا، وارتبطت بعلاقات جميلة مع مثقفين فتحوا أمامها آفاق التفكير والقراءة والمناقشة، كانت تقضي الساعات الطويلة، وهي قابعة خلف حاسوبها تنشر ما تكتبه من فضفضات، في الكتابة عرفت الشخصية الأخرى التي تسكنها، أو ربما كانت الكتابة القناع الذي ارتدته للقاء الآخرين، كانت في حالة هروبٍ دومًا، تعبر عن حنينها لما لم تفعله تلك الليلة، كانت تكتب كل ما لم يمكنها فعلًا أن تفعله، فكل ما نقوله أو نكتبه يشبهنا بطريقة أو بأخرى، وكان هناك من يقرأ هذه الكتابات، ليرسم بريشته ملامحًا تليق بمن كتبتها.

وحده كان يعارض أفكارها المثالية، بدعوتها الإحساس بالواقع، بعيدًا عن عالم الكمال الذي تحياه، لكنه سرعان ما تخلى عن مبادراته تلك، بعد أن سمع ضحكتها المتغنجة، دخل قلبها ليوقد فيه نيران حنان، ثم غادرها في قمة إحساسها بالحمى... من هنا كانت بداية التغيير، حتى لم يعد بإمكانها السيطرة على أفعالها، لقد تسلل بقراءته إلى أعماق روحها، ووافق نفسها التي تتوق للملذات فجمعتها به.

جاءها بالحب متدفقًا، جرفها بحماسه ليقلب روتين حياتها... الحب... ذلك الفخ العظيم الذي نقع فيه بعيدًا عن إرادتنا، صادقةً تمنت أن تحياه حتى الإنهاك، فقد ألهبها وأسعدها كثيرًا، بعض الوعود كالأحلام، تسعدنا بما تضمنه من لحظات جميلة، لكنها بعيدة المنال، لا يؤمن بها إلا ساذج أو عاجز، وقد كانت كذلك، فأحست حلاوة حديثه في أعماقها، ولم تعد قادرة على أن تنوء بقلبها عنه بعد ذلك، وأمام سحر أسلوبه فقدت السيطرة على شخصيتها، ودفعت بنفسها معه إلى أقصى حدود المغامرة والجنون، فشعرت باسترخاءٍ لذيذ وأدمنت هذه اللذة.

حتى هي لم تدرك حاجتها لمثل هذا الجنون، أي حياةٍ رهيبة كانت قبله تعيش، فقررت ألا تعود إليها في أيامها التالية، ومضت

تحدثه أيامًا كثيرة فلم يكن أكثر من إغداقها إثارة للضجر، هكذا تسرَّب الملل إلى علاقتهما، ليتحول الحب إلى ندبة وجرح يهدم ما قامت عليه من تخيلات، ورغم كل ما فعلت، لم تستطع إبقاء حبها حيًا،كان وهمًا أغدقت عليه حبًا ما كان ليهزم، لهذا قرر اقتلاع جذوره بالبعاد وتحويله إلى رماد، فاختفى من كانت تظن أن سعادتها معه وحده، بسرعة قد تختفي من حياتك الكثير من الأشياء حتى الحب، بدهشة تتركك تتساءل كيف يحدث كل هذا ولا يكون لديك سوى الحيرة وإجابة وحيدة... لا أعرف.

نحن لا نتوب عن أحلامنا مهما تكرر انكسارها...

ها قد عرفت الحب

كنت أنوي استغلال هذه الساعة لتجميل قلبي لحبيبي القادم، نفض غبار الخيبات عن كاهل فساتيني، إنه ينتظرني لم يشك يومًا بعودتي، هل أستحق انتظاره؟... لو كنت مكانه لما انتظرت، ينتظرني...أفكر أتجاهل أتمادى و أتصرف...أحيا على هواي - أو كنت أعتقد أني أحيا - وهو بالحب ينتظرني، لا أعرف كيف أمكنني الغفلة عن كل هذه السعادة كيف تاه مني هذا الطريق النادر العظيم، كانت علاقتي به سطحية دون علاقتي بكثيرين ممن هم حولي... لا أتذكر أننا تحادثنا إلا مراتٍ قليلة، كان إلهًا من الحب، و أنا التي دارت معظم أحاديثي بلهفة الباحث عن الحب.

رغم افتقاري في هذا المجال وجدته قربي بحماسٍ شديدٍ يستقبلني، لم يحزني ما كان يختفي وأنا معه من الناس و الأشياء من حولي، وأنا التي قبله كان يحزنني أقل الفقد، كمٌ هائلٌ من الكلمات تفوهت به وهو بكل سلاسةٍ كان يسمعني، قابل كل تعليق مني أو ملاحظة باحترامٍ وتبسم، شعرت أني أتبدل...لقد كنت فعلًا أتبدل لتبدأ حياتي من جديد، قبل أن أطرق الباب أدركت خطأي، شعرت بالضيق ذكريات القصص القديمة الصور البشعة ماذا أفعل بها كيف أخفيها؟ لكنه فتح الباب... مرحبًا فتح الباب قبل أن أزيح شيئًا من تلك الأوساخ والقذارات.

كان لديه دفتر ضخم كبير، صفحاته مليئة بما كنت أنوي أن أخفيه، هذا ما رأيته عندما فتح الباب، استدرت لأعود، لكنه ناداني، برفقٍ دفع الدفتر، همسًا ناداني عالمًا تمام العلم بخجلي وانكساري، ولمَّا التفت لأواجهه ثانيةً، بلطفٍ احتواني، كنت أثرثر عن الهدايا التي تأخرت بإرسالها تقديرًا لحفاوته الاستثنائية وامتنانًا للمتعة التي لم أجدها كما بقربه الآن، لكني لم أجد رغبة منه باستمرار هذا الحديث، أطرقت ثانيةً، وقد لمحت بزاوية عيني الدفتر الضخم من جديد، بدا أني كنت أولي الدفتر اهتمامًا كبيرًا أزاحه وهو يغمزني، عدَّلت جلستي، وبقيت صامتة أنتظر أن يبدأ الحديث.

لم يكن بي طاقةٌ للقيام بشيءٍ آخر، فكرت حينها بتهذيب قلبي بإيقاف هذياني، بمنع تفكيري بماضٍ كان، ثم أومأت مستأذنةً بالانصراف...كم أسعدني أني لم أسمعه بعدي يغلق الباب، كان في الخارج صديق مع امرأةٍ يعبثان، عاودتني الغيرة أنهما بدوني سعيدان يمرحان، يضع الرجل كفيه فوق عينيها، تمسك بهما تقبلهما وترفع رأسها لتنظر في عينيه، لطالما تمنيت منه هذا القرب، هو الآن لها كاملًا صار لها، يؤلمني هذا... يمضيان أتبع خطواتهما وعندما يبلغان مخبأهما أهم باقتحامه عليهما، أصرخ أبكي و يخجلني أن أتذكر لطف وجمال حبيبي.

أخاف أن يحرمني دلاله...أريده معي...أحب قربه...لا أريد أن أتأخر عليه، أستعين بذكائي كله وبالإخلاص تتفتح لي أبواب قلبي لأكون بأقرب أقرب مكان إليه، يقف بالطريق رجل ضخم، بعينين محتقنتين ووجه قبيح لم أر أبشع منه في حياتي، يتلفظ بكلمات نابية ويهددني بمكالمةٍ كان قد سمعها وهو يسكر تحت نافذتي، ازدادت سرعة فمه حين لم ير وجهي المرتعب كما كل مرة، و بدا كأنه يهم بالصياح لكني لم أرد، كان إحساسي بوجود حبيبي يحميني يمنعني من الرد، رغم أني لم أستطع التيقن من أن هذا الرجل قد يسكت أو يستسلم للنسيان.

عادت صورته المرعبة لتزورني بالمنام، لم أتمكن من رؤية سائر وجهه، وحده فمه المفتوح كفم غولٍ يسيل اللعاب من زاويتيه، يصرخ من جديد... يدان حنونتان على أذني بطريقة ما منعتاني من أن أسمعه، مسحت على شعري...ثم استيقظت، اليد التي حمتني نفسها أثارت مخاوفي من أين أتت؟ يدُ من هي؟ ثم صار ظهورها كلما احتجتها مألوفًا منذ ذلك اليوم، السلام هو ما عرفته مذ عرفت حبيبي والحب هو ما كان يغمرني به دومًا...

محدقةً عبر النافذة أتذكر، كنت أمضي مثل هذا الوقت أفكر في أولئك الذين عبروا قلبي تاركين فيه أحمالهم و ثقوبًا لا تسد...صورهم، أحاديثهم المشاكسة، ضحكاتهم الشقية، لاتزال

أصداؤها تملأ مسامعي ولطالما بكيتهم حتى صارت رؤيتي ضبابية ثم استسلمت لنومٍ عميق.

لم يكن النعاس لينفك عني طيلة غيابهم، ارتفع صوت الآذان، ذهبت إلى الحمام، كان لابد لي من الاستحمام لغسل ما مرَّ بي من تذكرهم، وجدت يدي حبيبي تبارك الماء، صار الماء مُنعشًا وبديعًا أردت أن أتركه ينساب عليَّ لساعات ولقد فعلت، كانت صورة القمر تحدثني تخبرني لي بأن من يحبني يحبني كثيرًا، الآن هي توحي لي بأن هناك حبًا أبعد ويجب أن أصل إليه.

كامل رفيقُ دربٍ رآني بعد موعدٍ مع حبيبي، شده بريق عيني، وحمرة العافية التي بدت على خدودي، حاول أن يعبر عن إعجابه بما رأى... كان من الصعب تقبل أي إطراء من غير حبيبي، لا سبيل إلى فرحٍ طازج إلا بالاستيقاظ صباحًا، والوقوف بين يديه، هكذا سيكون بإمكاني رؤية كل شيءٍ بصورةٍ مختلفة، فكل ما في الكون يقول لي أني أعيش أجمل قصة حب مع ربي.

أنهيت للتو ابتهالاتي فنجانٌ كبيرٌ من القهوة، وباقةُ زهورٍ وضعتها اليوم لنفسي، صوت البلبل نغمة رسائله وحب ربي الفكرة الوحيدة التي أستمتع بها - رغم توتري-.

الفهرس

المقدمة ٣
كلماته المُشجِعة ٤
أول حب ٨
عطلة العيدى ١١
في الصداقة ١٤
أمام اللوحة ١٩
هل كانت مُحقة؟ ٢٢
الملاك الفاتر ٢٦
بقايا طموح ٢٩
عيد ميلاد سعيد ٣٢
هي والحياة ٣٤
إجازة ٣٨
غيرة و حب ٤٨
لونا ٥٧
ثمة ما يستحق ٧٣

عروس الحلم ٨٦
فن و انحراف..... ٨٧
قشرة بيضة تدعى الحياة ٩٠
أنت الحياة ٩٢
أيام أخرى..... ١٠٥
قلوب حائرة..... ١١٤
ها قد عرفت الحب..... ١١٩